

سلسلة كتاب العميد
(٣)

في الأُطْرُوحَةِ الرَّضْوِيَّةِ الْتَّمْثِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّجَلِّيِّ

في الاطروحة الرضوية : التمثيل والتأويل والتجلي. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق :
العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، 1443 هـ. =
2021.

160 صفحة ؛ 24 سم. (سلسلة كتاب العميد ؛ 3)

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

1. علي الرضا، علي بن موسى بن جعفر (عليه السلام)، الامام، 148-203 هجري --
حديث. 2. الحديث (شيعية). 3. القرآن -- تفاسير مأثورة (شيعية). أ. العنوان.

LCC : BP193.18.A2 F53 2021

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤١١٦) لسنة ٢٠٢١



العنوان: في الأطروحة الرضوية . التمثيل والتأويل والتجلي

سلسلة كتاب العميد (٣)

النَّاشِر: العتبة العباسية المقدَّسة - مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات - قسم النشر

إعداد: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: رضوان عبد الهادي السلامي

الإدارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

الإخراج الطباعي: احمد مصطفى - احمد نعمة

تصميم الغلاف: علي طالب

عدد النسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

٢٠٢١هـ - ١٤٤٣هـ

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدَّسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدَّسة: ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَلْيَعْفُوا

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

صدق الله العلي العظيم

سورة النور، الآية: ٢٢ .



المحتويات

كلمة المركز ٩

- ١١ ملاحظ قرآنية من فكر الإمام الرضا عليه السلام
- ١٢ المقدمة
- ١٤ المبحث الاول - مباحث علوم القرآن الكريم
- ١٤ اولاً: الحروف المقطعة
- ١٦ ثانياً: المحكم والمتشابه
- ١٨ ثالثاً: غضاضة القرآن الكريم ودوامه
- ٢١ المبحث الثاني - أهل البيت عليهم السلام هم مصاديق القرآن
- ٢٤ أهل البيت هم حجج الله وشهداؤه في البرية والعروة الوثقى
- ٢٩ المبحث الثالث - عصمة الأنبياء
- ٣٤ المبحث الرابع - التوحيد والعقائد الإسلامية
- ٣٤ عقيدة التثنية والتثليث
- ٣٦ نفي الصفات الحادثة عن الله تبارك وتعالى
- ٣٨ الجبر والاختيار (التفويض)
- ٤٢ الخاتمة

٤٩ في القراءة الرضوية اصطفاء الآل عليهم السلام اختيار إلهي

٥٠ المقدمة

٧٩	الروايات التفسيرية عند الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>
٨٠	المقدمة
٨١	النبوة
٨٨	عصمة الانبياء
١٢١	الخاتمة

١٤١	الإمام الرضا <small>عليه السلام</small> في الشعر العربي القديم
١٤٢	توطئة
١٤٣	المقدمة
١٤٥	المحطة الأولى - تجلي صورة البطل / المثال
١٤٩	المحطة الثانية - تجلي ثنائية الخير / الشر
١٥٢	المحطة الثالثة - تجلي صورة الشهادة

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم ..

تمثل اطروحات أهل بيت النبوة عليهم السلام الثقل الآخر من الثقلين اللذين تركها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ القيادة، والحياة، وتنظيم الأمور وتفعيل التجلي في الفكر والعمل. من هنا جاءت رغبة قسم النشر في مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، تخصيص كتاب عن الأطروحة الرضوية، على ذكر صاحبها أفضل الصلاة والسلام، خطوة في الطريق إلى اكمال قراءة الثقلين المباركين؛ قراءة توعوية، واعية، نسلط الضوء فيها على تمثيل تلك الأطروحة في الواقع، والاستعانة بها في التأويل؛ لراقب تجلياتها، عن كتب، في الذات والآخر؛ لذا كان عنوان الكتاب على وفق هذه المحطات الكشفية الثلاث: (في الأطروحة الرضوية: التمثيل والتأويل والتجلي).

وعليه كانت الدراسات الأربعة المكونة لهذا الكتاب؛ موزعة على ما قدم من ملاحظ قرآنية من فكر الامام الرضا عليه السلام، ثم الوقوف على توجيه القول الرضوي لمفردات المنظومة العقدية ولا سيما في (الآل) و(الاصطفاء)، ثم جهداً للوقوف عند ما نقله الإرث الحديثي من روايات مباركة لتفسير القرآن الكريم، مخصصة بمفصلين مهمين من مفاصل المنظومة الإسلامية، هي: النبوة وعصمة الأنبياء عليهم السلام، منتهية عند تجلي الذات الرضوية المقدسة في الشعر العربي القديم بوصفه رمزاً حركياً للتحفيز والابداع في حقول المعرفة؛ لتحقيق بذلك وظيفة الإثراء والتنوع. مجددية الدعوة للباحثين الأكاديميين أن يسهموا في كتاباتهم حول الثقلين، وتستمر الاطروحات لدراسة ما قدمه الآل للحياة.



ملاحظ قرآنية
من فكر الإمام الرضا عليه السلام

م . د . حسام عدنان الياسري

جامعة القادسية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية



المقدمة

يتناول هذا البحث جملة من القضايا القرآنية التي أخذتها من آراء الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وملاحظته التي فسر بها الكثير من النصوص القرآنية المباركة التي مثل بعض منها إشكالات في الفكر الاسلامي ليس بسبب مما تتضمنه هذه الآيات الكريمة من مسائل، وإنما بسبب من الانحراف الفكري الذي أصيبت به بعض المدارس الاسلامية التي جنح بها سوء التفكير والفهم المغلوط للقرآن الكريم، فضلاً عن الابتعاد عن الثقل الثاني والصنو للقرآن، وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار الذين قال فيهم رسول الله: **إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي، فإنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.** وهذا (الثقل) هو الموضح والمبيّن للقرآن الكريم على امتداد الزمن، وهو المتكفل ببيان مقاصد القرآن ومصاديقه الصحيحة.

ولهذا كان لزاماً على الباحثين والدارسين أن يتكفلوا بالكتابة عن منهج أئمة أهل البيت عليهم السلام في مختلف الجوانب المعرفية. فاخترت الإمام الرضا عليه السلام، وهو ثامن الأئمة، ليكون انموذجاً لهذه المدرسة الاسلامية العلمية التي أخرجت الناس، ولما نزل تخرجهم من الظلمات الى النور .

وقد جعلت البحث في بيان بعض من (الملاحظ القرآنية) التي وقف عندها الإمام وأفصح عن دلالتها ومعانيها. فانقسم على أربعة مباحث اخترتها بسبب من أهميتها الفكرية، ولما لاحظته من عناية الإمام في الإبانة عنها، مع أي تركت الكثير من التفاصيل والقضايا القرآنية المهمة التي سنقف عندها في بحث آخر إن شاء الله تعالى. فأما المبحث الاول، فقد جعلته مخصوصاً بمباحث علوم القرآن التي تضمنت ذكر آرائه عليه السلام في (الحروف المقطعة) و (علم المحكم والمتشابه) و (موقفه في النهي عن التأويل بالرأي)،

فضلاً عن قوله في (غضاضة القرآن الكريم) ومعناه . واختص المبحث الثاني بدراسة موجزة في بيان أن (أئمة أهل البيت هم مصاديق القرآن الكريم) الذين يذكرهم النص الكريم بأوصافهم وخصالهم التي وقف عندها الإمام الرضا عليه السلام غير مرة رداً، فيما يبدو، على من يحاول تطبيق النصوص القرآنية وجزّها الى غير المثال الحقيقي الذي تنطبق عليه .

وعني المبحث الثالث بدفاع الإمام عن الأنبياء والرسل وإثبات عصمتهم التي نص عليها القرآن الكريم . في حين جعلت المبحث الرابع والأخير في مباحث (التوحيد والعقائد) التي صوّب الإمام الكثير مما فسد منها، وردّ على من تبني العقائد التي تدعو الى تجسيم الله تبارك وتعالى وتشبّهه وتثبته الحد له .

وقد ختمت البحث بجملة من النتائج التي توصلت اليها، مشفوعة بذكر أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت في تدوينه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين ...

المبحث الأول

مباحث علوم القرآن الكريم

يتناول هذا المبحث الملاحظ القرآنية التي وردت في كلام الإمام الرضا عليه السلام والتي تصنف، بحسب الدرس القرآني، في ضمن مباحث علوم القرآن الكريم. وفي صدارة هذه المباحث مبحث الحروف المقطعة، والمحكم والمتشابه، ومن ثم نهيه عليه السلام عن التأويل بالرأي، وغضاضة القرآن الكريم وجدته .

أولاً: الحروف المقطعة

وهي مجموعة من الحروف الهجائية التي تفتتح بها تسع وعشرون سورة من القرآن الكريم مثل (الم) و (كهيعص) و (طه) وغيرها. وهذه الحروف هي نصف حروف الهجاء العربي .

وقد تحير المفسرون في بيان أصل هذه الحروف ودلالاتها عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١) حتى تحصل فيها نيف وعشرون وجهاً، منها ما نقل عن ابن عباس من أن كل حرف من الحروف مأخوذ من لفظ يدل على الخالق جل جلاله وانبيائه، فالالف من كلمة (الله)، واللام من (جبريل) والميم من (محمد)^(٢). وقيل: بل الالف آلاؤه، واللام لطفه، والميم ملكه^(٣).

فضلا عن وجوه أخر تكفلت المدونات التفسيرية بذكرها^(٤). غير أن منهج الإمام الرضا عليه السلام يختلف عن منهج المفسرين في قراءة هذه الأحرف القرآنية، فهو ينظر إليها نظراً اعجازياً يرتبط بالقرآن الكريم نفسه من حيث كونه نازلاً بلغة العرب الفصحى، بل الأعلى فصاحة، ولهذا قال عليه السلام معلقاً على أمثال هذا الاستعمال القرآني من حروف المعجم قائلاً: إن الله تبارك وتعالى انزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها العرب، ثم

ثانياً: المحكم والمتشابه

وهما من أهم مباحث علوم القرآن عند العلماء، فقد نص القرآن الكريم تضمنه هذين الأمرين في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُكَمَّلَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٩).

وقد اختلف المفسرون في معنى المحكم والمتشابه القرآني، فذهب بعضهم الى أن المراد من الإحكام إتقان القرآن وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه، وأن المتشابه يعني أنه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز^(١٠). وقيل بل المحكم ما عرف المراد منه بالظهور أو بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور^(١١). ولم يكن أئمة آل البيت عليهم السلام يعيدون عن هذه المسألة القرآنية، فها هو الإمام الرضا عليه السلام يضع منهجاً علمياً قرآنياً يمكن الاهتداء به الى صراط مستقيم بحسب قول الإمام الذي نصه: مَنْ رَدَّ مِتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مَكْمِهِ هُدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١٢).

والنص المتقدم يعلم به الإمام الأئمة أن الأصل في القضية هو (المحكم) الذي به تفسير غوامض القرآن الكريم وأسراره التي يجهلها الناس الذين لا يدركون معارف النص الكريم؛ لأنهم ليسوا من الراسخين في العلم الذين استأثروا، بعد الله جل جلاله، بمعرفة تأويل القرآن الكريم. فالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يعلمون متشابهات القرآن الكريم كما يعرفون محكماته، وهم المخصوصون بشرحها للناس؛ لعلمهم الواسع الذي منحهم الله تبارك وتعالى إياه^(١٣).

ولهذا لا تقف حدود منهج الإمام الرضا عليه السلام عند قول من قال: إنَّ الْأَصْلَ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُكَمَّلَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٤﴾ . هو الوقوف في التلاوة عند كلمة (الله)؛ ويكون الابتداء بـ (الراسخون) دليلاً على عدم استئثارهم بعلم التأويل، وأن الله جل جلاله هو المستأثر بذلك وحده. غير أن مصداق الأئمة وتشخيصهم عليهم السلام لمصطلح (الراسخون في العلم) مخصوص بهم وبالنبوي محمد صلى الله عليه وآله دون غيرهم من الناس. وبحسب هذا الفهم يكون الأئمة هم المعنيون بمعرفة متشابهة القرآن، ومحكمه معرفة تامة، وهم الذين يعلمون الناس طريقة تعرف المتشابهة القرآني، بوساطة رده إلى المحكم من آياته .

ولذلك ألمح في قول الإمام الرضا المتقدم إشارة إلى منهج التفسير الموضوعي الذي يعتمد جمع جميع الآيات المباركات ذات الموضوع الواحد للخروج بنتائج وافية عن معاني الآيات القرآنية ودلالاتها، ويشمل هذا المنهج المحكمات والمتشابهات من الآيات المباركة أيضاً بطريقة تفسير كل آية بآية أخرى توضح مجملها ومضامينها القرآنية .

ومما يتعلق بهذه القضية نهيه عليه السلام عن تأويل القرآن الكريم بالرأي، لأنه مما استأثر الله به الراسخين في العلم. يقول الرضا عليه السلام مخاطباً بعض أصحابه: لا تؤول كتاب الله صلى الله عليه وآله برأيك، فإن الله صلى الله عليه وآله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُكَمَّلَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٥﴾ (١٦) .

وموقف الإمام هذا توكيد لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار) (١٧) .

ثالثاً: غضاضة القرآن الكريم ودوامه

الغضاضة في اللغة النعومة والحداثة وعدم الانقطاع^(١٨) . أمّا غضاضة القرآن ، فهي دوامه وتجده وحادثة عهده حتى كأنه غير منقطع الأمد لجدته وسرمديته . وقد أشار الإمام الرضا عليه السلام الى أزلية القرآن الكريم وكونه غير مخصوص بزمن دون زمن آخر ، محتجاً بإجابة الإمام الصادق عليه السلام لرجل سأله : « ما بال القرآن لا يزداد على النّشر والدّرس إلاّ غضاضة؟ » فقال الإمام : لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ، ولا لناس دون ناس ، فهو في كل زمانٍ جديد ، وعند كل قوم غصٌّ الى يوم القيامة^(١٩) .

وهذا الكلام يعني أن القرآن الكريم غير مخصوص بزمان أو مكان ؛ لأنه رسالة ممتدة للأزمنة والأمكنة كلها لا يخلق بالردّ وكثرة الدّرس ، وكل يوم يظهر منه علم جديد أو يفهم منه الناس شيئاً جديداً يساير الزمن الذي هم فيه ، بل يتعداه الى اظهار حقائق وغوامض لم تستطع القدرات الإنسانية إدراكها .

ويتضمن حديث الإمام جملة من الأمور تُفهم منه:

أولها: إنّ غضاضة النص المبارك تعتمد في الدرجة الاولى على اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم، وهي اللغة العربية التي اختيرت لهذا النص المقدس بما تحمله من إمكانيات لغوية وأسلوبية وبيانية لا تتوافر عليها أية لغة أخرى، وهذه فضيلة من الفضائل التي اكتسبتها اللغة العربية وتشرفت بها من القرآن الكريم، فأسمهت من هذا الجانب في غضاضة القرآن وتجده بما تملكه من امكانيات على مستوى التركيب والشكل والمضمون حتى كأن المفردة القرآنية، بل العبارة القرآنية لا يمكن أن تحتل بديلاً مقترحاً عنها. فكما أنه لا يمكن وضع يد الإنسان محل قدمه، فكذلك لا يمكن وضع مفردة من مفردات القرآن محل مفردة أخرى؛ لأنها نصوص صيغت بإحكام ودقة وحسن اختيار وانتقاء للألفاظ يستحيل التلاعب بها أو تحريكها من مواضعها التي وضعت فيها. وهذا الأمر مرتبط بالمعنى أشد ارتباطاً .

ثانيها: إنّ الغضاضة القرآنية لا ينقص من شأنها عدم ادراكها وفهمها من الناس، فعلى الناس الارتفاع الى مستوى اللفظ والمعنى الذي تشتمل عليه تعابير القرآن الكريم وتراكيبه اللغوية. فلا ينبغي أن يكون القرآن غصاً على مستوى بعيد عن وعي الأمم والشعوب به، وإنما ينبغي عليهم وعلى الدارسين الارتقاء الى مستويات التعبير القرآني لدراسته وبيان خصائصه وميزاته التي لم يلتفت اليها في زمن ما، أو التفت اليها بشكل بعيد عن مراد الله تبارك وتعالى. ولكن بلحاظ الاستعانة بـ (الراسخين في العلم) من أهل بيت محمد ﷺ، على رأي مدرسة أهل البيت ﷺ، واتباعهم من العلماء الذين يوظفون مقولات الأئمة في الإبانة عن مضامين النص القرآني المبارك، تكون المسألة أكثر معنى ودلالة مما لو استعين بغيرهم من السياقات الأخرى .

ثالثها: ضرورة أن يتصدى العلماء لبيان المضامين العلمية للقرآن الكريم بشكل لا يبعده عن حيز العلم التطبيقي، ويحصره في زاوية المجال الفقهي التشريعي الذي يعني

بمسائل الحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام الشرعية التي تفيد من القرآن الكريم. بل يجب إظهار المزايا العلمية بكل أشكالها من القرآن الكريم ما استطاع العلم الى ذلك سبيلاً، تحقيقاً لمبدأ الغضاضة وعدم الانحصار بالزمان والمكان فحسب.

المبحث الثاني

أهل البيت عليهم السلام هم مصاديق القرآن

يعد أئمة أهل البيت القسم المكمل للقرآن الكريم، وهم ثلاثة الأثافي بعده وبعد الرسول صلى الله عليه وآله. وقد ابتعدت الأمة الاسلامية كثيراً عنهم وعن الأخذ بأقوالهم وسننهم التي هي أقوال رسول الله وسننه التي أورثها لهم. متجاوزة بذلك قول النبي الاكرم: وإني تارك فيكم الثقلين. أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ^(٢٠).

وقد ربط النبي الاكرم صلى الله عليه وآله هذين الثقلين أحدهما بالآخر، في اشارة الى عدم التفريق بينهما، وضرورة الأخذ بهما معاً، فهما صنوان لا يفترقان من حيث أنهم عليهم السلام يبينون أحكام القرآن الكريم في موارده جميعاً، وهم أعلم به من غيرهم، ولهذا نقلت مدونات الحديث قول النبي الأكرم برواية أخرى نصّها: إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ^(٢١).

وتحقيقاً لهذا الأمر من رسول الله، فقد نهج أئمة أهل البيت منهجاً حرصوا فيه على أن يكونوا هم المصداق الأمثل للقرآن الكريم، فما تركوا موقفاً أو مسألة تعرض عليهم بخصوص القرآن الكريم وتفسيره إلا وأشاروا الى أنهم في صدارتها. وعلى هذا السبيل سار الإمام على الرضا عليه السلام، الذي نص غير مرّة على أنهم (أهل الذكر) الذين قال فيهم الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢٢).

وقد روي عنه عليه السلام في جوابه عن معنى قوله تعالى المتقدم: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون^(٢٣). وجوابه المتقدم للتعبير القرآني بـ (أهل الذكر) الذي صُرف مصداقه الحقيقي الى دلالات أخرى شَرَقَ المفسرون وغربوا في تحديدها، حتى ذهبوا الى أن المراد بهم أهل الكتاب وعلما الأخبار^(٢٤)، وقد حرص الإمام الرضا عليه السلام على تصحيح ما ذهب اليه المسلمون في المراد بـ (أهل الذكر)، فهم ليسوا أهل الكتاب ولا النصراني، وذلك في مجلس الحوار الذي جرى عند (المأمون) لما قال بعض العلماء الحاضرين إنَّ المعني بـ (أهل الذكر) هم اليهود والنصارى، فردَّ الإمام هذا الوجه قائلاً: سبحان الله، وهل يجوز ذلك؟ إذن يدعوننا الى دينهم ويقولون إنه أفضل من دين الإسلام^(٢٥)، ثم قال عليه السلام محتجاً بآيات أخر: الذكر رسول الله، ونحن أهله، وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَتَاهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾^(٢٦). فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أهله^(٢٧).

والظاهر من النص أن الإمام يريد انتزاع الفكرة الخاطئة من أذهان هذه الفئة من العلماء، ليظهر لهم أن الصواب في (أهل الذكر) عدم انحصارها في أهل الكتاب وغيرهم، وإنما تتجاوز هؤلاء ليكون في رأسها وصدارتها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآل بيته الذين جعلهم الله تبارك وتعالى صنو القرآن والثقل الثاني بعده تمهيداً، فيما يبدو، لفكرة أن الأئمة عليهم السلام هم المرجع بعد النبي في كل عصر، وهم الذين يتوجب وضعهم في صدارة الأمة مع الأخذ بمقولاتهم في مجال التشريع والتطبيق القرآني.

وقد أشار بعض المفسرين المعاصرين الى أن المراد بكلام الإمام هو عدم الرجوع الى أهل الكتاب على مر العصور والأيام، وأنَّ عصر الإمام الرضا عليه السلام لا بد من الرجوع فيه

الى الإمام على أساس أنه مرجع علماء الإسلام ورأسهم^(٢٨) . وأزيد على ذلك بأن في كلامه عليه السلام إشارة الى أن لكل أمة إماما منهم عليه السلام يتوجب الرجوع اليه في المسائل جميعها، ولا سيما في القضايا القرآنية .

ولهذا روي عن الإمام الرضا عليه السلام نفسه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يُدعى كل أناسٍ بإمام زمانهم، وكتاب ربهم وسنة نبيهم^(٢٩) .

أقول: وكثيراً ما كان الإمام الرضا يفسر الآيات المباركات التي ترد فيها مفردات تحتمل أن يراد بها غيرهم عليه السلام أو يتوجه المسلمون بها الى غير أهل البيت غلطاً في بيان مصاديقها أو عمداً، لصرفها عن الأئمة بدوافع سياسية وتفضيلية أخرى . ولهذا نلاحظ حرصه عليه السلام في بيان أنهم (حجج الله) و (ورثة الكتاب) و (العروة الوثقى) . فقد ذكر المؤرخون ما ذهب اليه العلماء في مجلس (المؤمن) لما سألهم عن (المصطفين) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْإِتَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٣٠) . فقال الحاضرون: إنهم أمة محمد بكاملها^(٣١) .

في حين ذهب الإمام الى أنهم العترة الطاهرة دون غيرهم، واستدل عليه السلام على ذلك باستدلال عقلي علمي قرآني ذاهبا الى أنه لو أراد جل جلاله بهذه الآية الكريمة جميع المسلمين، كما قالت العلماء، لحُرِّمت النار على كل مسلم، وإن فعل ما فعل؛ لأنه تبارك وتعالى لا يعذب أحداً اصطفاه، والثابت في ضرورة الدين خلاف ذلك، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره أيضاً^(٣٢) .

أقول: وما ذهب اليه الإمام الرضا عليه السلام يتسق مع القرآن الكريم الذي لم يصطف أحداً ما لم يكن (مُخْلِصاً وَمُخْلِصاً) له بكل ما تشتمل عليه مفردة (الاخلاص) من معنى، مع لحاظ أن يكون هؤلاء المصطفون مطهرين من الرجس بكل ما تحمله كلمة (الرجس) من دلالات أيضاً . وبهذا يثبت أن أهل البيت هم (المصطفون) الذين عناهم الله تبارك وتعالى

في الآية المباركة. ولم يخرج الإمام الرضا في بيانه للآية الكريمة عما ذهب إليه أجداده من أئمة أهل البيت في هذه المسألة؛ فقد روي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قولهما في تفسير الآية المباركة سالفة الذكر: (هي لنا خاصة، وإيانا عنى) ^(٣٣).

أهل البيت هم حجج الله وشهادؤه في البرية والعروة الوثقى

وهذه مسألة قرآنية أيضاً، فقد عرض المفسرون حديثاً للإمام الرضا عليه السلام في بيان قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ^(٣٤). يقول فيه الإمام: (نحن حجج الله في خلقه، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته) ^(٣٥). وحديثه يتضمن الإشارة الى أمور اختص بها أهل البيت عليهم السلام دون سواهم؛ الأول منها كونهم حجج الله في الخلق، فهم الذين يحتاج بهم الخالق تبارك وتعالى على خلقه، لأنهم الشهداء المطلعون على أحوال العباد بتحويل من الله جل جلاله، ولعل هذا هو معنى الشهادة في قوله تعالى آنف الذكر، فضلاً عما توحى به مفردة الشهادة من دلالات ومنها (الشهادة العملية) في كونهم انموذجاً للناس وقدوة لهم في أقوالهم وأفعالهم، بوصفهم مقياساً للسمو والفضل بين الأمم جميعاً ^(٣٦).

أما الدلالة الثانية لقول الإمام عليه السلام، فهي اختصاصهم في كونهم الشهداء على الخلق شهادة عملية تطبيقية، وشهادة (اطلاعية) يعرف منها كونهم مطلعين على الخلائق وتعرض عليهم أعمال العباد بإذن الله تبارك وتعالى. أما الدلالة الثالثة، فهي كونهم أعلام البرية، وهي إشارة منه عليه السلام الى أنهم الشواخص البارزة التي يبتدي بها كل انسان ضالٍ أو غير ضالٍ يبصرهم ويرى أعمالهم ويسمع أقوالهم، ويكون مستعداً للاقتداء بهم والانصواء تحت لوائهم في الورد على الله جل جلاله.

ومما يتناسب مع قول الإمام المتقدم في اطلاعهم عليهم السلام على أعمال الأمة بطرائق خاصة كلامه عليه السلام الذي أجاب به بعض الناس الذي طلب اليه الدعاء له ولأهل بيته: **أَوْلَسْتُ أَفْعَلُ؟ وَاللَّهِ إِنَّ أَعْمَالَكُمْ لَتَعْرُضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ** ^(٣٧) . فاستعظم الرجل من ذلك، فأجابه الإمام مستدلاً بكتاب الله: **أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ:**

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ^(٣٨) . ثم قال: هو والله علي بن أبي طالب ^(٣٩) .

وفي كلام الإمام مباحث متعددة في صدارتها تأكيده على نظرية (عرض الأعمال) التي تعد من أهم الفروع في عقيدة (الإمامية الإثني عشرية)، فضلاً عن الإشارة الى قرآنية هذه الفكرة التي مصدرها كتاب الله، واختصاص هذا العرض للأعمال بالله جل جلاله، وبالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والمؤمنين الذي خصّ منهم الإمام الرضا الإمام علياً عليهما السلام، بوصفه المثال الفريد للمفردة المتقدمة، ومن ثمّ الأئمة من ذريته، ولهذا أوردت الآية المباركة مفردة (المؤمنون) بصيغة الجمع كما يبدو تخصيصاً لهم عليهم السلام.

ومما يستدل به على قول الإمام الرضا في هذا التفسير والبيان للآية المباركة، وعده الإمام علياً هو المقصود بكلمة (المؤمنون)، آية (الولاية) التي نزلت في الإمام علي يوم تصدق بخاتمة وهو راعع التي يقول فيها القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤٠). فضلاً عما ورد عن النبي الأكرم ﷺ في قوله: علي سيد المؤمنين^(٤١)، وبهذا يكون علياً مصداقاً ومثلاً مميّزاً لمفردة (المؤمنون) الواردة في القرآن الكريم وفي كلام الإمام الرضا عليه السلام.

أقول: ويلحظ أنّ الإمام الرضا قد أبان عن معنى كلمة (التقوى) و(العروة الوثقى) في القرآن الكريم بأن خصّها بأهل البيت (عليهم السلام). فقد ورد عنه قوله: نحن كلمة التقوى والعروة الوثقى^(٤٢). وذلك، فيما يبدو، تفسير لقول الله تبارك وتعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ الْأَهْلِيَّةِ فَآنَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٤٣).

وتختلف رؤية الإمام الرضا عليه السلام في بيان معنى (كلمة التقوى) عن رؤية المفسرين الذين ذهبوا الى أن المراد بـ(كلمة التقوى) في القرآن الكريم هي (بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله)^(٤٤). وقال بعضهم إنها كلمة الشهادة والوفاء بالعهد^(٤٥). في حين جعلها بعضهم على نية حذف مضاف اليه تقديره: كلمة أهل التقوى^(٤٦). ولكن الإمام الرضا عليه السلام، وعلى عادته في تقويم الأفكار التي ترغب في صرف القرآن الكريم عن معانيه ومصاديقه الحقيقية يتوجه الى جعل أهل البيت هم الأنموذج الذي يريده الخطاب القرآني، بحيث جعلهم كلمة التقوى، فضلاً عن كونهم العروة الوثقى مشيراً بذلك الى قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤٧)، أو الى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُسْنِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٤٨).

فهم عليه السلام الحبل الوثيق ذو العرى المأمونة التي لا انفصام لها ولا انقطاع. وذلك على سبيل التمثيل بحال من تدلّى من شاهق، فاحتاط لنفسه بأوثق عروة من عرى الحبل المتين المأمون الانقطاع، حسبما يذكر الزمخشري ^(٤٩).

وليس ببعيد قول الإمام الرضا عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جعل فيه القرآن وأهل البيت حبلاً محدوداً من السماء الى الأرض في حديث الثقلين، فهما معاً العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

وقد لاحظت أنّ الإمام الرضا يعتمد مبدأ الإشارة الى أهل البيت، وهو منهم في كثير من النصوص القرآنية التي ترد فيها مفردات يصرفها بعض المسلمين عن مصداقها الحقيقي الأمثل . فنجده يفسر مفردة (الأمانة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْبَالِغِينَ أَنْ يُمْلِنَهَا وَآشَقَقْنَاهَا مِنْهَا وَحَلَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ^(٥٠) . ب (الولاية) قائلاً: الأمانة الولاية، من ادّعاها بغير حقّ كفر ^(٥١) . فهو عليه السلام يفهم من مفردة (الأمانة) القرآنية معنى أبعد من دلالتها المعجمية التي يتداولها المعجميون؛ ذاهبا بها الى كونها ولاية اهل البيت عليهم السلام والايان بهم في كونهم أولياء رسول الله صلى الله عليه وآله، والواجب على الأمة موالاتهم؛ لأنهم المخصوصون بها كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لا يقاس بأل ممد عليه السلام من هذه الامة باحد...هم أساس الدين وعماد اليقين... ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة ^(٥٢) . والولاية، بحسب مذهب أهل البيت، معناها فرض طاعتهم عليهم السلام لأنهم قادة الأمة ورؤساؤها في الدنيا والآخرة .

وهذا الوجه الذي فسّر به الإمام الرضا مفردة الأمانة ب (الولاية) قرآني المنشأ . وبعبارة أخرى أن الإمام لم يطلق هذا المبنى من التفسير منصرفاً عن القرآن الكريم، فالقرآن نفسه خصّ الولاية بالله وبرسوله وبأمر المؤمنين على عليه السلام في غير موضع، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(٥٣) . وهذه الآية المباركة مخصوصة بعلي عليه السلام كما تذكر المدونات التفسيرية ^(٥٤) . ومن الملاحظ أنّ المدونات

الخاصة بعقائد الإمامية تؤكد كثيراً عقيدة (الولاية) التي ترد كثيراً في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام. فقد روي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حديثاً في الأسس التي بُني عليها الإسلام، فعد منها (الولاية) لأهل البيت. يقول الإمام عليه السلام: بُني الإسلام على خمسة دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام، والولاية لنا أهل البيت ^(٥٥).

أقول: وقد لاحظت أن عناية الإمام الرضا عليه السلام بهذه القضية كانت عناية مميزة، حتى أنه فسّر مفردات قرآنية متعددة دالاً بها على (الولاية). وفي ذلك دليل على عنايته في تصويب الأفكار السائدة في عصره التي كانت تدعو إلى الابتعاد عن ولاية الأئمة، فضلاً عن ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام.

المبحث الثالث عصمة الأنبياء

العصمة في اللغة المنع^(٥٦) . وعصمة الله للعبد منعه من فعل الموبقات والوقاية منها^(٥٧) . أما العصمة في الاصطلاح، فهي (لطف يفعل الله تعالى بالمكلف، بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها)^(٥٨) . والعصمة بهذا المعنى أعلى درجات التقوى والابتعاد عن الشهوات^(٥٩) . وقد اختلفت المدارس الاسلامية في العصمة وجواز اشتراطها أو وجوبه في الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين يختارهم الله جل جلاله ويبعثهم للأمم مبشرين ومنذرين .

ويذهب المسلمون من غير الإمامية الى عدم اشتراط العصمة في الأنبياء والرسل قبل اختيارهم للرسالة وفي أثنائها. ولهذا نجد المتون التفسيرية تحفل بالكثير من الأفكار التي ربّما تسيء الى مقام الأنبياء والرسل وتخرجهم عن الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها، بوصفهم مبعوثين الى أمم تصدر منها الكثير من الأعمال والأقوال غير المقبولة، فليس من المعقول والمقبول أن يتصرف هؤلاء الأنبياء بمثل تصرفات الرعية أو العوام من الناس .

والظاهر أنّ هذه المقولات التي يذهب اليها سائر المسلمين راجعة في الأصل الى ظواهر القرآن الكريم الذي وردت فيه جملة من الآيات الكريمة التي فهم منها جواز وقوع الخطأ أو صدوره من الأنبياء. وقد تصدّى أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذه الافكار البعيدة عن الصواب، ونزّهوا أنبياء الله ورسله وأنفسهم عن هذه المسائل . وأخذ عنهم تلاميذهم هذه العقيدة ونظروا لها وصححوها الأفكار ولوازمها على الأنبياء والأوصياء، وربطوا ذلك بالجانب العقلي الذي يمنع ارتكاب من اصطفاهم الله تبارك وتعالى للقيام بمهام الدعوة اليه من القيام بما يخالف مفاهيم هذا الاختيار. فقد جوّز بعض أئمة المسلمين من الفرق الإسلامية وقوع كل ذنب من الأنبياء صغيراً كان أو كبيراً حتى الكفر، في حين فصل بعض المسلمين

في ذلك ولم يصل بهم الحد الى تجريدهم الانبياء من العصمة^(٦٠).

في حين أن الإمامية يذهبون الى عصمة الانبياء مطلقاً قبل البعثة وفي أثنائها .

والذي يهم ههنا هو مواقف الأئمة عليهم السلام ومقولاتهم فيما يخص (عصمة الأنبياء)، فقد سخر أهل البيت أنفسهم للذب عن الأنبياء وردوا الكثير من الأقوال التي زعم أصحابها جواز وقوع الكبائر من الرسل . ومن الأئمة الذين تصدروا هذا الاتجاه الإمام الرضا عليه السلام الذي دافع كثيراً عن مبدأ عصمة الأنبياء وصواب مواقفهم وأفعالهم التي يذكرها القرآن الكريم . ومن ذلك إجابته عن سؤال المأمون لما سأله عن قوله في عصمة الأنبياء قائلاً: يابن رسول الله: أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال عليه السلام: بلى . قال: فما معنى قول الله:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦١) . قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بيأيك أعني واسمعي بإجارة خاطب بذلك نبيه وأراد بذلك أمته . وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْكْتَ لَحُبَطْنَ عَمَلَكُمْ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْآسِينَ﴾^(٦٢) . وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾^(٦٣) . فقال المأمون: صدقت يابن رسول الله^(٦٤) .

والنص المتقدم يوضح موقف الإمام في قضية العفو عن النبي الوارد في القرآن الكريم، وهي القضية التي شغلت الفكر الاسلامي، فضلاً عن المأمون نفسه، فالآية في ظاهرها توحى بوقوع الخطأ أو الزلل من النبي الأكرم، وحاشاه؛ لأن مفردة (عفو) تدل على الصفح والتجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه حسبما يقول اللغويون^(٦٥) .

ولكن الإمام عليه السلام وجه الآية توجيهاً آخر جاعلاً إياها من باب أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمقصود به الناس من أمته الذين يجوز عليهم ارتكاب مثل هذه الافعال التي يؤاخذهم الله بها . فوجه الإمام النص الكريم توجيهاً ينأى به عن نسبة الخطأ الى النبي الأكرم؛ لأن سياق الآية المباركة سياق عتاب خاطب فيه التعبير القرآني للنبي بـ (الضمير) في (عَنكَ)،

تفخيماً لشأنه ﷺ وتنزيهاً له عن جواز وقوع مثل هذه الأمور عليه، مصدراً ذلك بلفظ (العفو) تحقيقاً وتصديقاً لوقوعه من الله في شأن النبي الخاتم؛ لئلا يُشعر بأن الله تعالى يؤاخذ نبيه بفعله، ولكي لا يحس المتلقي أن في الآية ضرباً من التقرير والغضب عليه ﷺ. وهذا الأمر يتناسب في مضامينه مع توجيه الإمام الرضا للآية المباركة، فالأمر في خطاب الأمة من خلال النبي أمر إرشادي له ﷺ بأن لا يفعل ما كان الأولى له أن لا يفعله، مع كون هذا الفعل الذي قام به النبي غير محظور عليه فعله، ولكن الأولى به أن لا يفعله^(٦٦).

وثمة وجه آخر يمكن أن تحمل عليه الآية المباركة بشكل يمكن معه النأي عن نسبة الخطأ الى النبي الأكرم، فقد ذهب بعض المفسرين الى أن قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ استفتاح للكلام، فهو كقول القائل في خطاب شخص ما: أصلحك الله وأعزك الله، فلم يكن للنبي ﷺ ذنب يعفى عنه^(٦٧).

ويذهب بعض المفسرين الى وجه آخر يجيز نسبة الخطأ الى رسول الله، وعندهم أن الله تعالى كنى بـ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ عن الجناية على أساس أن (العفو) رديف لها.

ومعنى الآية: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعلمهم، وهؤلاء استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في غدره ممن كذب فيه^(٦٨).

أقول: ومثل هذا الوجه في نسبة الأخطاء الى النبي ﷺ وغيره من الأنبياء يتجاوز الحد في وجوب احترامهم وتصويب أفعالهم التي يقومون بها؛ لأنهم أهل للتقوى وانموذج للطاعة، فليس من المعقول أن تصدر منهم المخالفات التي تمتنع في العادة على من هم أقل منهم شأنًا ومنزلة.

فالعصمة ضرب من التمسك بحبل الله تبارك وتعالى والالتجاء اليه وإجابة أوامره وترك نواهيه، وتكريم للنفس عن الوقوع في المعاصي مع القدرة عليها. ولهذا ركز أئمة أهل البيت ﷺ على عصمة الانبياء، فضلاً عن عصمتهم هم ﷺ، فحين سئل الإمام زين

العابدين عليه السلام عن معنى أن يكون الإمام معصوماً، فقال:

هو المعتصم بحبل الله ^(٦٩). وقريب من ذلك ما أجاب به الإمام الباقر بعضهم قائلاً:

المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع مارم الله ^(٧٠).

وأقوالهم هذه عليه السلام تؤيد أن قوة العقل التي يتمتع بها الأنبياء والأوصياء من الأئمة تتجاوز شهواتهم وتغلبها، فلا تغلب عند ذلك عقولهم على المعاصي مع كونهم قادرين عليها. ولا بد من الإشارة إلى أن المراد (بحبل الله) في حديث الإمام زين العابدين عليه السلام هو القرآن الكريم، فضلاً عن العترة الطاهرة، فهذان العنوانان لازمان مهمان من لوازم خصال المعصوم أو الذي يتدرج في مراتب العصمة حتى يصل إلى قمته.

ونجد نظائر كثيرة لعناية الإمام الرضا عليه السلام بنفي وقوع المعاصي من الأنبياء، ومنها دفعه الشبهة التي وقع فيها الناس في هم يوسف عليه السلام ب (زليخة)، إذ سأله المأمون قائلاً: ألا تقولون إن الأنبياء معصومون؟ فقال الإمام: بلى. فقال فما تفسير هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصَّفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ^(٧١). فقال الإمام عليه السلام: لقد همت به، ولولا رأى برهان ربّه لهم بها كما فعلت، لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يمّ بذنب ولا يأتيه. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن ^(٧٢).

والإمام عليه السلام يفهم من الهمّ، كما يبدو من كلامه، أنه الهمّ بارتكاب الفعل كما همّت (زليخة) بذلك، ولكنه يصرف هذا النوع من الهمّ بالفعل عن الحدوث، بل عن الوقوع في نفس يوسف والخطر في ذهنه بنوع من العلاج الالهي لذلك، وهو وجود (برهان ربّه) في نفسه الذي رآه يوسف على نحو يمنعه من القيام بالفعل المحرم.

وهذا البرهان هو العصمة التي وجدت في نفسه ووقعت في نظره الذي أبصر به حقيقة طاعة الله تبارك وتعالى ومخالفة هوى النفس. فجاء تأويل الإمام لظاهر النص القرآني لائقاً بحال النبي يوسف عليه السلام الذي ابتعد عن مواطن الريبة مؤشراً للتفكر في عقاب الله جل

جلاله وغضبه عليه فيما لو تبادر الى ذهنه وهمّ شارعاً بارتكاب تلك الفعلية .

وهذا التوجيه يسوّغ لنا تقديم الإمام الرضا لتعبير (ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت)، مفسراً عبارة (برهان ربّه) بـ (العصمة) التي يتحلّى بها يوسف الصديق عليه السلام. وهذا الاتجاه الذي ذكر يتناسب مع ما يتقله الإمام الرضا نفسه عن الإمام الصادق عليه السلام بأنّ همّ يوسف يختلف عن همّ (زليخة)؛ لأنها إنما همّت بأن تفعل القبيح، وهمّ بأن لا يفعله. يقول الإمام الرضا عليه السلام: لقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنه قال: همّت بأن تفعل، وهمّ بأن لا يفعل ^(٧٣).

أقول: وثمة الكثير من الآيات القرآنية التي وجّه الإمام الرضا عليه السلام دلالتها على غير ما تفهمه الفرق الاسلامية الأخرى فيما يخص الأنبياء تحفل بها المدونات الإمامية ^(٧٤)، ولعلنا نكتفي بما ذكر فيما سلف في الإبانة عما يتبناه مذهب أهل البيت من نظر بخصوص عصمة الأنبياء.

المبحث الرابع التوحيد والعقائد الإسلامية

وقد شغلت هذه المباحث الفكر الاسلامي، ودارت حولها الكثير من السجلات والمناظرات الفكرية، وانقسمت الأمة الاسلامية في عقائدها انقسامات متعددة حتى بات القول في بعض هذه الأفكار ضرباً من الكفر والخروج عن وجوه (التوحيد) الذي يعد الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين .

وقد دأب أئمة أهل البيت عليهم السلام على توحيد الله تبارك وتعالى والذّب عن (أحديته) التي لم يشاركه فيها غيره، وقاموا بجهود كبيرة في سبيل تصحيح الأفكار التي سادت في أذهان الناس؛ رغبة منهم في ترسيخ القيم والموازن القرآنية التي فرضها الله تعالى في كتابه الكريم. وكان الإمام الرضا عليه السلام واحداً من أهل البيت الذين تصدّوا لهذه الافكار التي نذكر منها:

(١) عقيدة التشية والتثليث

وهي إحدى العقائد التي اختص بها النصارى الذين يجعلون من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ابناً لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وعندهم أنّ الله روح القدس اله واحد. وأنّه (جل جلاله) متحد ومتكون من ثلاثة: (الأب والابن وروح القدس)، وهؤلاء الثلاثة إله واحد في فكر هؤلاء ^(٧٥).

وقد وقف الإمام الرضا عليه السلام بوجه هذا النوع من الشرك بالله تبارك وتعالى، متخذاً من القرآن الكريم دليلاً على نفي هذا التثليث المنكر. فقد روت المدونات التاريخية وكتب الأخبار حوار الإمام مع (الجاثليق)، وهو رأس الأساقفة من النصارى الذي حاجّه الإمام في مجلس المأمون. فقد قال الإمام في حوار طويل سائلاً الجاثليق بقوله: يا نصاني، والله إنّنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد عليه السلام، وما ننقم على عيساكم شيئاً إلاّ ضعفه وقله صيامه وصلاته. قال الجاثليق: أفسدت والله

علمك وضعفت أمرك... قال الرضا عليه السلام: وكيف ذلك؟ قال الجاثليق: من قولك: إن عيساكم كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة، وما أظطر عيسى يوماً قط ولا نام لبيل قط، وما زال صائم الدهر، قائم الليل. قال الرضا عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلي؟! فخرس الجاثليق وانقطع ^(٧٦).

لقد أراد الإمام من حوارهِ هذا استدراج النصراني الى الإقرار بكون عيسى عليه السلام نبياً لا يعبد إلا الله تبارك وتعالى؛ ليفند بذلك مقالتهُم التي تقوم على عدِّ المسيح ابناً لله تبارك وتعالى. وهي المقولة التي نفاها القرآن الكريم وعرض بأصحابها وكفرهم بسبب ما ذهبوا اليه من أقوال تنافي وحدانية الله جل جلاله. فقال تعالى على لسانه:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ^(٧٧). وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٧٨).

وقال أيضاً: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ هُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ^(٧٩). ومن ثم أنكرك الله تبارك وتعالى على أهل الكتاب غلوهم في الدين وموقفهم من المسيح الذي هو رسول الله وكلمته التي القاها الى مريم عليها السلام: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ^(٨٠).

وبهذا يكون الإمام الرضا عليه السلام قد صحح أسوء فكرة تقوم عليها العقيدة النصرانية معتمداً ضربين من الأدلة؛ الأول الدليل العقلي، والثاني الدليل القرآني الذي سرد فيه الله جل جلاله المراحل التي مرَّ بها اتباع عيسى عليه السلام في عدِّه ابناً لله الى تنزيهه من هذه الفرية، واثبات كونه عبداً من عباده الذين اختارهم ليكونوا من المرسلين.

(٢) نفي الصفات الحادثة عن الله تبارك وتعالى

فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام جوابه لبعض من سأله أن قوماً يقولون: إن الله عالم بعلم، وقادر بقدر، وحي بحياة وقديم بقدم، وسميع بسمع. فقال عليه السلام: مَنْ قال بذلك ودان به، فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا في شيء. ثم قال: لم يزل الله سبحانه عليماً قادراً حياً سميعاً بصيراً لذاته، تعالى عما يقول المشركون والمشبهون علواً كبيراً^(٨١).

ويرد الإمام هنا على مذهب وعقيدة شاعت بين فرقة من المسلمين من المشبهة الذين يجسمون الله تعالى ويعدونه جسماً يتصف بصفات الحدوث التي يتسم بها المخلوقون، ولهذا كان ردّه عليه السلام حاسماً في نفي الصفات عن الحق جل جلاله فأثبت لمن يدعي ذلك الشرك والتشبيه، حتى أنه أخرجهم من ولاية أهل البيت عليهم السلام. والإمام الرضا عليه السلام يبين للأمة الاسلامية ضرورة نفي الصفات عن الله تعالى ليكون توحيدهم توحيداً حقيقياً. وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام: أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيد، وكما توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد حدّه، ومن حدّ، فقد عدّه^(٨٢). وهذا هو الأصل في التوحيد الذي تسير عليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ولهذا نجدهم عليهم السلام يسعون الى تنزيه الله عن كل ما لا يليق به من صفات، ويوجهون النصوص القرآنية المباركة التي تشتمل في ظاهرها على نسبة المكان والزمان الى الله تعالى توجيهاً صائباً يبعدها عن الشبهات التي تهفو اليها قلوب المشبهة. فقد روى الشيخ الصدوق سؤال المأمون للإمام عن قوله تبارك وتعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٨٣).

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات

والأرض، فكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء على الله عز وجل، ثم جعل عرشه على الماء، ليظهر بذلك قدرته للملائكة، فتعلموا أنه على كل شيء قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله وجعله فوق السموات السبع والأرض في ستة أيام، وهو مستولٍ على عرشه وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنه تعالى خلقها في ستة أيام، ليظهر للملائكة كمال خلقه منها شيئاً بعد شيء فيستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرة بعد مرة. ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه؛ لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش؛ لأنه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علواً كبيراً^(٨٤). ويضع الإمام بحديثه هذا قاعدة يمكن بها بيان معنى عرش الله تبارك وتعالى الذي يرد ذكره في القرآن الكريم؛ فيفهم من كلامه أن العرش هو قدرة الله جل جلاله ومكان استيلائه على السماوات والأرض ومحل عظمته التي لا ينازع فيها ابداً.

(٣) الجبر والاختيار (التفويض)

وهي من المسائل الفكرية الكبيرة التي شغلت الأمة الاسلامية مدة من الزمن، ولا سيما في القرن الاسلامي الأول؛ إذ تصدى المتكلمون من المسلمين الى بيان الأساس في نشأة أفعال العبد الصالحة منها والطلاحة، وهل هي منه أو من الله تعالى؟. وتذكر المدونات الخاصة بالفرق الاسلامية أنّ فكرة الصراع بين (الجبر والاختيار) قد دخلت تاريخ الإسلام وانتشرت بين المسلمين عن طريق الذين دخلوا الى الإسلام من الديانات الأخرى؛ إذ كانوا يحاولون دس الشبهات بين المسلمين وخلق حالة من الاضطراب الفكري في الأذهان^(٨٥).

وقد تحمّس الكثير من الفلاسفة المسلمين والمتكلمين لمسألتي (الجبر والاختيار) واختارت بعض الفرق الاسلامية القول بالجبر في محاولة منها لتسويغ أفعال المتممين اليها وإظهار أنّ أفعالهم وتصرفاتهم ليست منهم، وإنما هي من الله خالق كل شيء ولا دخل للعباد بأفعالهم تلك. وبهذا الوجه يكون الله تعالى قد أجبر عباده على ارتكاب كل شيء قبيحاً كان أو صحيحاً.

وتعرّف المدونات الخاصة بالفرق الاسلامية مصطلح (الجبرية) مرجعة إياه الى (الجبر)، ومعناه نفي الفعل حقيقة عن العبد و اضافته الى الربّ تعالى شأنه^(٨٦).

ويعد الجعد ابن درهم (ت ١٢٨هـ) من أوائل الذين دعوا الى هذه الفكرة في الإسلام وبثها بين المسلمين. وكان الجعد يسكن الشام، وهو مولى لبني الحكم، ويتصل بجماعة من اليهود فأخذ منهم فكرة القول بالجبر، ولازم الأمويين وتولى تربية أبنائهم، وكان مقرباً من خلفائهم ومحاطاً بعنايتهم. وينسب اليه القول بالكثير من الشبهات والمقولات الخارجة عن توحيد الله جل جلاله، وعنه أخذت مقولة خلق القرآن، وأن الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، وهو أول من حفظت عنه مقالة التعطيل في الإسلام، وقد وصفته كتب التراجم بأنه مبتدع ضال أخذ عنه القول بخلق أفعال العباد^(٨٧). وقد اقتصر



منه خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة لدى هشام بن عبد الملك يوم الأضحى ^(٨٨) .

وقد تصدى أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذا الضرب من الأفكار المنحرفة التي أشاعها (الجعد بن درهم) واتباعه، ووقفوا منها مواقف مانعة مصححة؛ ليزيلوا الشبهات التي تعرضت لها العقيدة الإسلامية. فظهرت عندهم نظرية (الأمر بين الأمرين) التي أوجدها الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في مقولته التي أجاب بها سؤال من سأل عن أفعال العباد وهل هم مجبورون على أفعالهم أو مخولون تخويل تفويض؟ .

فقال عليه السلام: لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين ^(٨٩) .

وهذا الحديث ينفي نفيًا قاطعاً أن يكون الله تبارك وتعالى قد أجبر الناس أو أكرههم على أفعالهم، كما هي الفكرة التي تذهب إليها فرقة (الجبرية) التي تحاول تسويغ الأفعال السيئة التي يقوم بها الناس أو الأمراء والخلفاء من قتل وانتهاك للحرمات باسم الدين واسم الله، على نية أن أفعالهم مخلوقة وموضوعة فيهم بقدرته تعالى، وأنه هو الذي أجبرهم على فعلها. فتعالى الله عما يصفون.

إنّ هذا الحديث ينفي نفيًا قاطعاً أن يكون الله تبارك وتعالى قد فوّض العباد تفويضاً مطلقاً للقيام بأيّ شيء دون أن يكون له سلطة على المخلوقين.

غير أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام اختارت القول الفصل بين هذين المذهبين. وقد أبان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فكرة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين، لما سئل عن ذلك، فأجاب قائلاً: مَنْ زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالبر، ومن زعم أنّ الله فوّض أمر اللق والرّزق الى حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، والقائل بالبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك. فقلت له: يابن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه. فقلت: فهل لله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: أما الطاعة فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسّخط والذلان عليها. قلت فله عز وجل فيها

القضاء؟ قال: نعم. ما من فعل يفعله العباد من خير وشيء إلا والله فيه قضاء. قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال:

الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة^(٩٠). والإمام عليه السلام يظهر للمخاطب أنّ مسألة الأمر بين الأمرين مرتبطة بطاعة الإنسان لله تبارك وتعالى من خلال إتيان ما أمره به وترك ما نهى عنه بمشيئة الله وإرادته، فإنّه تعالى يُعين العبد ويهيئ له من أمره رشداً إذا عزم على تنفيذ الطاعات التي يرتضيها ويدعو إليها، وإنه تعالى ينهى العبد ويمنعه من القيام بالمنكرات والقبائح التي تسخطه وتغضبه، وكل ذلك مرتبط بالحكم على هذه الأفعال وفاقاً لمبدأ الثواب والعقاب الذي يجازي الله به العباد وهذا هو معنى القضاء .

أقول: وهذا الوجه الذي فصله الإمام معتمد على قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٩١) ومرتبطة أيضاً بمشيئته جل جلاله؛ لأنه هو الذي مكن الإنسان ومنحه المشيئة والقوة والنعمة، والسمع والبصر، فإن العبد لا يفعل فعلاً أو يتركه إلا بقضاء الله وقدرته ومشيئته، ولكن هذا (القضاء) لا يكون قضاء لازماً وهذا (القدر) ليس قدراً محتوماً. وهذا ما أبان عنه الإمام علي عليه السلام الذي أجاب بعض السائلين عند مسيرهم الى الشام بأن خروجهم كان بقضاء وقدر، فقال له الإمام: لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد الوعيد. وإن الله سبحانه أمر عباده تخيراً ونهاهم تديراً، وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً ولم يُرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار^(٩٢).

ومما يمكن ذكره من أقوال الإمام الرضا عليه السلام لتوضيح هذه المسألة قوله عليه السلام التي

ينقلها عن جده الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، إذ يقول مخاطباً بعض أصحابه: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. قال علي بن الحسين عليه السلام: قال الله عز وجل: يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء، وبقوتي أديت إلّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي. جعلتك سميعاً بصيراً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك إني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون. قد نظمت لك كل شيء تريد ^(٩٣).

وهذا الوصف الذي ينقله الإمام الرضا عليه السلام يكون كلامهم عليهم السلام في مسألة (الجبر والتفويض) أو (القضاء والقدر)) متكاملًا يتمم بعضه بعضاً، ويوضح بعضه بعضاً يقوم على فكرة قرآنية توحيدية واحدة مؤداها: إن الله أملك بالتفرد والوحدانية، وهو ملاك العدل والرأفة والرحمة بالعبد من العبد نفسه. وأنه لم يترك الإنسان حراً في أفعاله جميعاً كما أنه لم يكرهه على فعل أفعاله الحسنة والقبیحة، وإنما الهمة الصواب وسدد خطاه وعلمه الصلاح والخطأ، وألهم النفس الانسانية فجورها وتقواها، فصار الإنسان فاعلاً بقدرة الله، ولكنه في الوقت نفسه هو الذي يختار أعماله من جهة صوابها وخللها، جاعلاً الفيصل في ذلك مبدأ (الثواب) على الأعمال الحسنة و(العقاب) على الأعمال السيئة المشينة .

الخاتمة

بعد الفراغ من هذا البحث المتواضع، الذي أتمنى على الله تبارك وتعالى أن يكون مقبولاً عنده وعند مولانا الإمام الرضا عليه السلام، خرجت بجملة من النتائج التي أذكر منها ما يأتي:

١. إن الإمام الرضا عليه السلام واحد من أبرز أعلام أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين تصدوا لنشر الفكر الاسلامي الصحيح في بلاد خراسان بعدما انتقل إليها لما أقدمه المأمون العباسي إليها.

٢. اعتمد الإمام في نشر الفكر الاسلامي على أساس مهم، وهو ضرورة الاعتماد في فهم النص القرآني على عترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد افتتح ذلك النمط من التوجه بقولته المعروفة التي نقلها عن جدّه رسول الله في أثناء ذهابه الى خراسان ماراً بنيسابور في الحديث المعروف بحديث (سلسلة الذهب): (لا اله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. ثم قال: بشروطها وانا من شروطها).

٣. ومن الحديث المتقدم تتضح عنايته عليه السلام بمباحث التوحيد الآلهي التي صدرها، بقول (لا إله إلا الله).

٤. تبين من خلال البحث أنّ عند الإمام علي الرضا عليه السلام كما كبيراً من الآراء في تفسير القرآن الكريم، ولذا وجب علينا القيام بجمع هذا التراث القرآني وعدم

التفريط به، لما يمثله من ذخيرة تغني الدارسين والباحثين في الفكر الإسلامي.

٥. تمثل مدرسة الإمام الرضا عليه السلام مكماً لمنهج أهل البيت عليهم السلام في قراءة الاسلام وتثبيت أركانه ومكوناته بحسب ما أوجبه القرآن الكريم.

٦. لم يقتصر جهد الإمام الرضا عليه السلام على تنزيه الإسلام من الشبهات التي وضعها بعض من يحسب على الاسلام، وإنما تجاوز ذلك الى تصحيح الأفكار في الديانات الأخرى،

من خلال دفاعه عن النبي عيسى ﷺ، ونفيه عقيدة (الثليث) التي يقول بها النصارى الذين يعدون المسيح ابناً لله جل جلاله، فنفي عنه الإمام ذلك مؤكداً أنه كان عبداً لله تبارك وتعالى .

الهوامش

- (١) البقرة / ١، ٢.
- (٢) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١ / ٣.
- (٣) نفسه .
- (٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ١٦.
- (٥) الاسراء / ٨٨.
- (٦) التوحيد للشيخ الصدوق: ١٦، وينظر: تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرزاي: ١ / ٧٠.
- (٧) البقرة / ١.
- (٨) تفسير الامثل: ١ / ٧٠.
- (٩) آل عمران / ٧.
- (١٠) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٢ / ٥.
- (١١) نفسه .
- (١٢) تفسير الامثل: ٢ / ٤٠٥.
- (١٣) نفسه
- (١٤) آل عمران / ٧
- (١٥) آل عمران / ٧
- (١٦) عيون اخبار الرضا، للصدوق: ١ / ١٥٣.
- (١٧) بحار الأنوار: ٨٩ / ١١١، ١١٢.
- (١٨) ينظر: لسان العرب (غضض): ٧ / ١٩٦.
- (١٩) بحار الأنوار: ٨٩ / ١٥، وينظر: التفسير الأمثل: ١ / ٢١٦.
- (٢٠) سنن الدارمي: ٢ / ٥٢٤.
- (٢١) مسند احمد بن حنبل: ٣ / ١٤.
- (٢٢) النحل / ٤٣، وتنظر: الانبياء / ٧.
- (٢٣) تفسير الامثل: ٨ / ١٩٨.
- (٢٤) ينظر: تفسير الطبري: ١٤ / ١٠٨، والكشاف: ٢ / ٥٦٧.
- (٢٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٤٣، وتفسير الأمثل: ٨ / ٢٠٠.
- (٢٦) الطلاق / ١١، ٠١.
- (٢٧) عيون اخبار الرضا: ٢ / ٢٤٣.
- (٢٨) ينظر: التفسير الأمثل: ٨ / ٢٠٠.
- (٢٩) نفسه: ٩ / ٩٦.
- (٣٠) فاطر / ٢٣.
- (٣١) ينظر: الشيعة في الميزان، لمحمد جواد مغنية: ٢٥٨.

- (٣٢) ينظر: الشيعة في الميزان: ٢٥٨ .
- (٣٣) وسائل الشيعة: ٢٧ / ١٨٣ ، ٢٠١ ، وبحار الأنوار: ٢٣ / ٢١٣ ، وينظر مجمع البيان: ٨ / ٢١٥
- (٣٤) الحج / ٨٧ .
- (٣٥) اكمال الدين واطمام النعمة، للصدوق: ٣ / ٥٢٦ ، والتفسير الامثل: ٠١ / ٤٠٨ .
- (٣٦) ينظر: التفسير الأمثل: ٠١ / ٤٠٨ .
- (٣٧) اصول الكافي: ١٧١ ، والتفسير الأمثل ٦ / ٢٠٦ .
- (٣٨) التوبة / ١٠٥ .
- (٣٩) نفسها .
- (٤٠) المائة / ٥٥ .
- (٤١) الكافي، للكليني: ١ / ٤٣٥ ، ومرآة العقول في شرح أخبار الرسول، للمجلسي: ٣ / ٢٧٨ .
- (٤٢) ينظر: بحار الانوار: ٢٤ / ١٨٤ ، وتفسير الأمثل: ١٦ / ٤٨٣ .
- (٤٣) الفتح / ٢٦ .
- (٤٤) الكشاف، للزمخشري: ٢٦ / ٥١٤ .
- (٤٥) نفسه .
- (٤٦) نفسه .
- (٤٧) البقرة / ٢٥٦ .
- (٤٨) لقمان / ٢٢ .
- (٤٩) ينظر: الكشاف: ٤١٣ .
- (٥٠) الاحزاب / ٧٢ .
- (٥١) بحار الانوار: ٣ / ٥٨٧ ، والتفسير الامثل: ١٣ / ٣٧١ .
- (٥٢) نهج البلاغة: ٢٥ .
- (٥٣) المائة / ٥٥ .
- (٥٤) ينظر: تفسير الطبري: ٦ / ٢٨٨ والكشاف ١ / ٦٨٢ ، والمحزر الوجيز: ٢ / ٢٠٨ .
- (٥٥) الامالي، للشيخ المفيد: ١ / ٢٢٨ .
- (٥٦) ينظر: لسان العرب (عصم): ١٢ / ٤٠٣ .
- (٥٧) نفسه .
- (٥٨) النكت الاعتقادية، للشيخ المفيد: ٣٧ .
- (٥٩) نفسه .
- (٦٠) ينظر: هوية التشيع، للشيخ د. أحمد الوائلي: ١٧ .
- (٦١) التوبة / ٤٣ .
- (٦٢) الزمر / ٦٥ .
- (٦٣) الاسراء / ٧٤ .
- (٦٤) التفسير الأمثل: ٥١ / ١٤٣ .

- ٦٥) ينظر: لسان العرب (عفا): ٧٢ / ١٥ .
- ٦٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسي: ٢٢١ / ٥ .
- ٦٧) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٨ / ٣ .
- ٦٨) ينظر: الكشف: ٢ / ٢٦١، ٢٦٢ .
- ٦٩) بحار الانوار: ٥٢ / ١٩٤ .
- ٧٠) معاني الاخبار، للصدوق: ٢ / ١٣٢ .
- ٧١) يوسف / ٢٤ .
- ٧٢) التفسير الأمثل: ٧ / ١٨٠ .
- ٧٣) عيون الأخبار: ٢ / ٢٠٢، وبحار الانوار: ١٢ / ٥٣٣ .
- ٧٤) يراجع في ذلك على سبيل المثال: عيون اخبار الرضا عليه السلام وبحار الانوار للعلامة المجلسي .
- ٧٥) ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للقرطبي: ١ / ٧٧ .
- ٧٦) التوحيد، للصدوق: ٤١٦ و ٤٣١، وعيون اخبار الرضا: ٢ / ١٥٥ .
- ٧٧) المائة / ٧٢ .
- ٧٨) المائة / ٧٣ .
- ٧٩) المائة / ٧٥ .
- ٨٠) النساء / ١٧١ .
- ٨١) الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسني: ١٩ .
- ٨٢) نهج البلاغة: ١٤١ .
- ٨٣) هود / ٧ .
- ٨٤) عيون اخبار الرضا: ٢٠ / ١٣١ .
- ٨٥) لقد تكلم في هذه المسألة الكثير من فلاسفة اليونان والسريانيون والزرادشتيون والنصارى .
ينظر: هوية التشيع: ٦٨ .
- ٨٦) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني: ١ / ٨٥ .
- ٨٧) ينظر: لسان الميزان، لابن حجر: ٢ / ١٠٥، وتهذيب التهذيب: ٨ / ٣٠١ .
- ٨٨) ينظر: الرد على الجهمية، للدرامي: ١ / ٢٠٤، والأسماء والصفات، للبيهقي: ١ / ٦١٧ .
- ٨٩) الكافي: ١ / ٢٣٧، وبحار الانوار: ٥ / ١٢ .
- ٩٠) الفصول المهمة في أصول الأئمة، للحر العاملي: ١ / ٢٣٦، ٢٣٧ .
- ٩١) الانسان / ٣ .
- ٩٢) نهج البلاغة: ٤ / ١١ . وينظر: عوالي اللآلئ، للاحسائي: ٤ / ٣٨ .
- ٩٣) الفصول / المهمة: ١ / ٢٣٣ .

المصادر والمراجع

- العلمية - لبنان، (د. ت).
- ٨) تهذيب التهذيب، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- ٩) التوحيد، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين بقم المقدسة، د. ت.
- ١٠) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تأليف محمد بن جرير بن يزيد بن كثير المكنى ب (أبي جعفر الطبري) (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م.
- ١١) الرد علي الجهمية، لعثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي (٢٨٠هـ)، تحقيق: بدر عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ١٩٩٥ م.
- ١٢) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، تأليف هاشم معروف الحسني.
- ١٣) عوالي اللآلئ لابن أبي جمهور الإحسائي، د. ط، انتشارات سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.
- ١٤) عيون أخبار الرضا، للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ١٥) الفصول المهمة في أصول الأئمة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: محمد بن محمد الحسيني القائيني، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، طهران، ١٤١٨هـ.

- القرآن الكريم.
- ١) الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسيني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الله بن حميد الحاشدي، د. ط، مكتبة السّوّاري، جدة، د. ت.
- ٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت ٧١٢هـ) تحقيق: د. أحمد حجازي السّقا، د. ط، دار التراث العربي القاهرة، ١٣٩٨.
- ٣) الأمالي، للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الحسين استاد ولي علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ.
- ٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تأليف العلامة الفقيه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د-ط)، نشر قسم الترجمة والنشر في مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - إيران، (د-ت).
- ٥) بحار الأنوار، للعلامة الحجة الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، د. ط، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ت.
- ٦) التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، د. ط، مطبعة الجامعة الإسلامية، طهران.
- ٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تأليف مجد الدين الفيروز آبادي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب

٢٠) معاني الأخبار، للشيخ الأقدم أبي جعفر محمد بن علي القمي الصدوق، عني بتصحيحه علي أكبر غفاري، انتشارات اسلامي، طهران، ١٣٦١هـ.

٢١) الملل والنحل، لأبي بكر محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٢) النكت الاعتقادية، للشيخ المفيد، (ط/٢)، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٣) نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من اقوال الامام علي عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، دار المؤرخ العربي، بيروت.

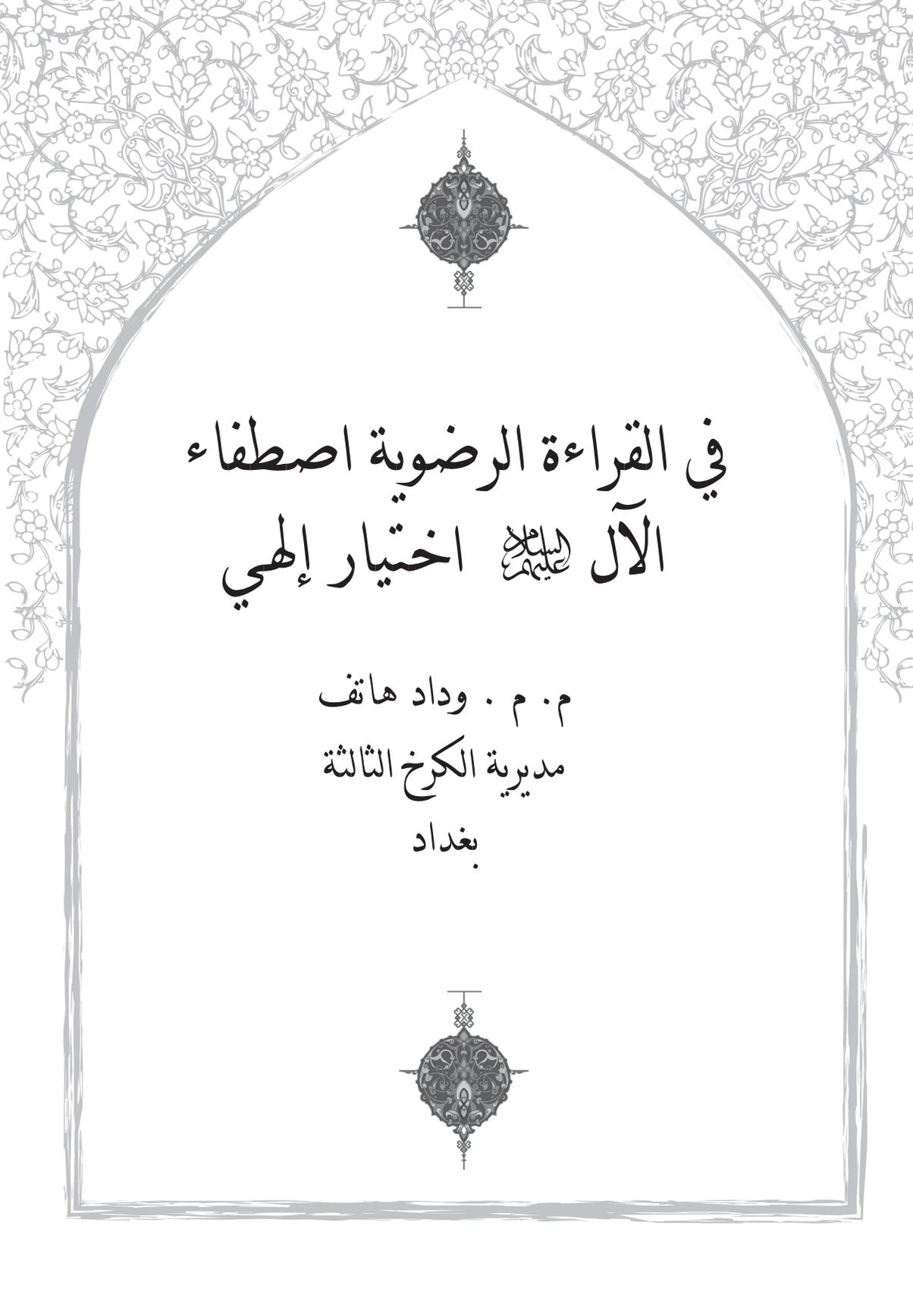
٢٤) هوية التشيع، للشيخ الدكتور أحمد الوائلي، (ط/٣)، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٦) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، د.ط، دار احبار التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٧) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت، لبنان، د.ت.

١٨) لسان الميزان، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية بالهند، ط/٣، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.



في القراءة الرضوية اصطفاء
الآل عليهم السلام اختيار إلهي

م . م . وداد هاتف
مديرية الكرخ الثالثة
بغداد



المقدمة

جاءت القراءة الرضوية مصداقا من مصاديق الرحمة الإلهية ببني البشر، في سبيل إثبات الحق القويم؛ إذ لم يكن يخفى عليها أن هناك خطأ أساسيا في التعامل مع الموضوعة قيد الاشتغال، الاصطفاء وعلاقة ذلك بالآل عليهم السلام من حيث أنهم التمثيل الأظهر/الأوحد، عند كل من يمعن النظر بتجرد، وغايته الوصول إلى جوهر الحقيقة، لا غير. والملاحظ أن جميع علماء المسلمين سواء أكانوا مفسرين، أم كانوا أصحاب سير أو صحاح، قد تعاملوا مع مرويات ترددت بينهم ونالت اهتمامهم، واستدرت جهوداً حثيثة منهم، ولكن الأمر الذي كان موضع جدل وخلاف دائم يشتد حيناً، ويفتر حيناً آخر، هو في كيفية موضوعة هذه المرويات وتمركزها في قلب معتقدات البعض، وكون الثقة بها والعمل على أساسها يمثل امتثالاً للإرادة الإلهية، مثلما كان الأمر عند الملائكة لما تعبدتهم الله سبحانه بالسجود لآدم عليه السلام. في حين أن هذه المرويات ذاتها كانت هامشاً في اهتمام البعض الآخر الأمر الذي جعلهم يدفعون بها إلى الظل، ويغيبون دلالاتها، ومن ثم ارتباطاتها بحياة المسلمين وأثرها في تنظيم علاقة الخلق. إنها محاولة جهدت في أن تكون موفقة لاختيار أكثر الروايات دلالة على المقصود في كل موضع، ذلك أن استيفاء كل المرويات يخرج الموضوع عن هدفه في أن يضع إشارات تمثل بؤراً تتمركز فيها وحولها قضايا على درجة كبيرة من الأهمية في فكرنا، وتعكس تصوراً إيجابياً عن الإسلام الحقيقي. نسأل الله السداد لما يجب ويرضى، من طاعته والإذعان لإرادته. والحمد لله من قبل ومن بعد

عن الامام ابي الحسن الرضا عليه السلام انه قال لأبي داود بن القاسم الجعفري: يا داود إن لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لكم علينا حقاً فمن عرف حقنا ووجب حقه ، ومن لم يعرف حقنا فلا حق له ^(١) .

ولعلنا نجرؤ ان ندعي اننا نعرف بعض حق محمد صلى الله عليه وسلم وحق آله الاطهار، لا اقل من حق المحبة والولاء ولعلنا نوفق للعمل بمقتضاه ولو بقليل من إحياء أمرهم فننال بذلك رحمة من الله ببركة دعاء السادس منهم أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقد تواتر عنه قوله لشيعة ومحبيه: أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيأ أمرنا ^(٢) . وما رحمته سبحانه إلا ببركة جداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٣) .

من هنا تحاول السطور القادمة ان تتقرب لله على استحياء في موقف إحياء لشيء من أمر أهل البيت عليهم السلام ولا يمكن بحال أن يفي بعشر معشار حقهم علينا ولا يترجم أقل من ذلك من محبتنا لهم وولائنا وشدة تعلقنا بهم طريقاً الى مرضاة الله صدوعاً لأمره سبحانه ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ^(٤) .

لعل ذلك القليل القليل يجد قبولاً برحمة الله وبآية رحمته محمد وآل محمد عليهم السلام وهم من جعلهم الله تعالى علة للوجود وآية للقدره فما آمن بذلك وصدق الا قليل ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٥) .

ان الشرط الممتنع في الآية الكريمة يشير الى طبيعة العناد والجدال التي يتصف بها الانسان. فقد كان ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ^(٦) ، بعد أن نفث ابليس في اعطافه فملاًها كبراً وصلفاً حتى ردت على الله وحادثه وشاقته، وشاقت رسوله صلى الله عليه وسلم . ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَاِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ^(٧) . ولا يخفى أن كل ذلك إنما هو خلاف الإيمان والتقوى، الامر الذي يفضي الى الحرمان من عطاء الله غير المجذوذ.

ولما جعل الله تبارك وتعالى علة خلقه آدم عليه السلام إنما هي خلافته في الارض، فقد كان لزاماً

أن يعي البشر بطبيعة الحال أن الخلافة - بوصفها مورداً أول من موارد الإصطفاء - أمر منوط بالإرادة الالهية فهي جعلٌ من الله سبحانه يقصر الانسان عن أن تكون له فيه الخيرة من أمره.

وأنه لما تعبد الملائكة بالامثال والطاعة والتسليم، كان حريا ببني آدم أن يكون لهم في هؤلاء الملائكة أسوة حسنة، مع ملاحظة أن الله سبحانه قد اختبرهم بطاعته بالايان بغيبه، والتصديق به والتسليم له. فكيف اذا كان بعض امره لبني آدم بالامثال لما تشهده عيونهم، ويعيشونه واقعا حاضرا يملأ مفردات حياتهم؟ فَيَنْكَبُ بعضهم عن الطريق ويختار في مقابل امر الله، سلوك سبيل من عاند وأبى واستكبر وقاس برأيه فأل به الامر الى الخلود في النار. ولم يمنعه ذلك من التهادي في العصيان للذات المقدسة، في مفارقة غريبة بعد معرفته الله وعبادته له جلّ وعلا زمنا طويلاً فنجده يعلن متحدياً: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٨).

وكان ينبغي مع اعترافه بعزة الله سبحانه وقدرته وعظمته، أن يكون مسلماً طائعا، لكنها النفس الأمّارة بالسوء وقد استخفت من هو على شاكلتها في الجدل، والعناد والكبر، فكانوا له من التابعين.

وقد قيل في شأن ايمان الملائكة بالغيب ان الله ﷻ قد اخبرهم وامرهم بالطاعة والسجود من قبل سبعمئة عام من خلق ادم ﷺ واذا رد ذلك فلا مناص من تحقق الغيب ولو بمقدار ساعة واحدة. وهذه فضيلة للمؤمن بالغيب تفوق فضيلة المؤمن بالعيان^(٩). نسأل الله سبحانه ألا يجرمنا من فيوضاتها بمته وكرمه .

إن كون خليفة الله سبحانه في ارضه هو اول الانبياء ﷺ وانه المصطفى الاول، فذلك يدل على أن الاصطفاء مقترن بالارادة الالهية ملازم لها.

وقد كان هذا الاصطفاء للخليفة قبل ان يخلق الله الخلق ويضع لهم نواميسهم، وينظم وجودهم، ويجعل ذلك - أي الاصطفاء - للخليفة آية، تتشعرن بها حجيته على الخلق، لما للحجة من اهمية تتعلق كل مصالح الخلق بها. وفي ذلك تصديق قول الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام حيث يقول: الحجة قبل اللق، ومع اللق، وبعد اللق ^(١٠).

وهذا يؤكد ضرورة وجود حجة على الارض وأن خلوها من الحجة أمر منافٍ للحكمة من الخلق ومن الثواب والعقاب اذ لا يعود هناك من مبرر لإيراد اي منهما مع انتفاء وجود الموجه الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويسدد للصواب، ويحث على الفضائل ^(١١).

وبعد ذلك، أية حجة تكون لها هذه المنزلة الرفيعة، وهذه اليد الطولى في ان تمثل ارادة الله على الارض؟ تفرض نفسها أم يختارها نظراًؤها في الخلق، بما يقع في نفوسهم، وما يوافق اهواءهم مما قد يوافق الحق او يجانبه؟!

أم انها آية من الله، نص عليها بالجعل الالهي الذي فرغ منه، وامر ملائكته بالسجود له طاعة وتسليماً، وان يكونوا مسخرين لخدمته ما اراد الله سبحانه لهم ذلك؟؟ واذا علمنا ان للحجة الامامة على الناس اجمعين، وإن الامامة منزلة الانبياء، وإرث الاوصياء، إن الامامة خلافة الله ^(١٢) ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْيَرَّةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(١٣)، علمنا ان اختيار الامام الحجة امر راجع الى الله ﷻ، لا ينازعه فيه احد ولا يرد عليه احد، الا من مرد على النفاق، وركن الى الشيطان به يتأسى ومنه يأخذ! وعندما نلتفت الى ما أورده الله سبحانه في محكم كتابه العزيز في أمر الامامة والامام بوصفها أرقى مصاديق الاصطفاء - اصطفاء مقام الإمامة، واصطفاء القائم بها - نجد آيات مباركة كثيرة تولت توطين دلالتها وترسيخ اركانها والتعريف بمصاديقها. فقد قال سبحانه في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الاسراء: ٤٠) ﴿أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ (الزخرف: ١٦) ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿النمل: ٥٩﴾ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ
 الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿الحج: ٧٥﴾ ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
 إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿البقرة: ١٣٠﴾
 ﴿وَوَصَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
 مُسْلِمُونَ﴾ ﴿البقرة: ١٣٢﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
 الْعَالَمِينَ﴾ ﴿آل عمران: ٣٣﴾ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ﴿الصفوات: ١٣٥﴾ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا
 الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْآيَاتِ
 بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿فاطر: ٣٢﴾ ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
 وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿آل عمران: ٤٢﴾ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
 بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾.

إذا لاحظنا المفردات التي تدرج تحت مظلة الاصطفاء نجد انها يمكن ان تنقسم بحسب مدلولاتها الاصطلاحية ومضامينها المفهومية على ثلاثة اقسام: ارى انه من المناسب قبل ذكرها ان نعود لمراجعة الحقل المعجمي الذي نبت فيه الجذر اللغوي لمادة: ص. ف و، وما تولد منه من مفردات ظلت تدور في فضاءاته غير بعيدة عنه جاء في لسان العرب: «صفا: الصفو والصفاء نقيض الكدر... وصفوة كل شئ خالصه من صفوة المال وصفوة الاخاء واستصفى الشئ، أخذه. واستصفى الشئ، واصطفاه، اختاره. ومنه النبي ﷺ صفوة الله من خلقه ومصطفاه. والانبيا المصطفون. وهم من المصطفين اذا اختيروا، وهم المصطفون اذا اختاروا»^(١٤).

ومدار الامر - كما هو واضح - الاستخلاص، والاختيار، والانتقاء، الذي يقتضي عقلا ان يكون للافضل، والاكمل من بين النوع او الجنس.

وبالعودة الى الايات الكريمة، نجد انها قد استثمرت هذا الفضاء الدلالي بأوجهه

المختلفة فدلّت على:

١. معنى الاستخلاص: اصففاكم، اصففاكم، اي فأخلص لكم البنين وخصمكم بهم واستخلص لنفسه البنات؟ وهذا في معرض التقرير لهم والتعجب من قولهم عظيم الافتراء هذا. وهذه الدلالة ضعيفة الصلة بموضوعنا قيد الطرح.

٢. معنى الاختيار: للصفوة، والانتقاء للافضل نحو: الله يصطفي، اصطفيناه، اصطفي لكم، اصطفي ادم، اصطفينا عبادنا، اصطفاك، اي ان الله تبارك وتعالى قد اختار ما رآه بعلمه، وبصيرته انه الأفضل والاصح، فهو السميع البصير .

اختار رسلا من الملائكة، ومن الناس من دون أن يتدخل احد في اختياره هذا . كما انه اختار الدين، اي الشريعة التي تستقيم بها الحياة، وتتحقق من خلالها الغاية من خلق الانسان في خلافة الله سبحانه على الارض، وإعمارها، واقامة حكمه، وسننه من اوامر ونواهٍ ونظم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾^(١٥) .

٣. معنى التفضيل: والذي نجد فيه اقتران الفعل اصطفي بحرف الجر (على)، فتتضح دلالة هذه، ويتوطن مفهومها حيثما وردت فقوله لمريم ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ اي فضلك كما في قوله تعالى عن طالوت ﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ و ﴿اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾^(١٦) .

واياً كان الامر فان الإصطفاء لا يخرج عن دائرة الإرادة الإلهية لما في ذلك من إتمام للحجة و اظهار للحكمة من العبادة و مما يؤول اليه مصير المتعبد من ثواب و ما يتحصل عليه المعاند من عقاب هذا الامر الذي من دونه لا تعود لله على الخلق من حجة و ينتهي امر الخلق الى العبث و التلف و حاشى لله ان يكون فعله كذلك وهو العزيز الحكيم^(١٧) .

وفي هذا يقول سيد البلغاء و المتكلمين امير المؤمنين عليه السلام: واصطفي سبحانه من ولد ادم عليه السلام انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم و على تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم^(١٨) .

وهذا الكلام يبين الدلالة على ان الاصطفاء غير منوط بالبشر ولا موكل اليهم بل لم يكن واقعا من الملائكة الذين هم بمنزلة ارفع من الانسان و ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١٩) . وإذ لم يخولهم الله سبحانه ذلك، فكيف يخول الانسان - وهو يصفه بالظلم والجهل واتباع الهوى - أمر اختيار ما فيه صلاح الكون، وديمومته، وصحة عبادة الله ﷻ، كما يريد لها الخالق العظيم، وكما جعلها علة للخلق؟! وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ النَّاسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢٠) .

وما ذلك إلا لأن الاختيار وقع ابتداءً من خلال الجعل الذي هو مقصور على القادر الخالق وحده لا شريك له بقوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ وذلك نظير قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾^(٢١) . فالخلق والجعل مرحلتان أوليان للاصطفاء، من بين قدراته غير المتناهية سبحانه على أن يوجد خلق آخر غير الملائكة والجن، ليؤهله لحمل رسالاته وخلافته على أرضه. ولو قال سبحانه (إني مختار) لا يمكن ان يقال: ربما استطاع الملائكة ان يختاروا لو أذن لهم. لكن وجه التعجيز ظاهر.

ولما كان وجه التعجيز ظاهرا، كان هذا أدل على اقتصار الامر بيد الله وحده. وهذا مصداق قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. ومن هنا ثبت بطلان قول القائلين في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، أن المراد بالمصطفين هم الامة. وذلك ما أثبتته الإمام الرضا عليه السلام كما أثبتته آباؤه عليهم السلام من قبله. ففي الخبر ان جماعة من العلماء اجتمعت عند المأمون، بحضور الامام علي ابن موسى الرضا عليه السلام، فأستخبرهم المأمون عن المراد من الاية فقالوا: اراد الله الامة كلها، فقال المأمون: ماتقول يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: إن الله اراد العترة الطاهرة^(٢٢) .

الامر الذي قاد الى مناظرة حول معنى الاصطفاء والآل ليورد الامام الحجج والادلة التي تقوض بناءهم الواهن الذي بنوا عليه مذاهبهم، واشتطت بذلك اراؤهم، وتكلفوا

ما لا يلزمهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾^(٢٣) .

ولاجل اثبات الوهن الحاصل في روايات المخالفين في ذلك، وتأکید ان الحق المين انما هو عند العترة الطاهرة، فهم لا يحرفون الكلم عن مواضعه، وعندهم فصل الخطاب. لاجل ذلك كانت هذه الصفحات عرضا متواضعا لبعض روايات المخالفين ورؤاهم بازاء روايات الإمام الرضا عليه السلام، التي هي تجسيد وامتداد لروايات آباءه المعصومين عليهم السلام، وما صدعوا به من الحق، استجلاءً للحقيقة واحتفاءً بما منّ به الله علينا من ادراكها، والتعبد بموالاتة الدعاة اليها، ومصاديقها من الانوار المحمدية العلوية. والله من وراء القصد .

جاء في لسان العرب «والآل آل النبي صلى الله عليه وآله ولما كثر الكلام في معنى الآل لم يجز ان يستدل على ما اراد الله من هذا ثم رسوله الا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما قال صلى الله عليه وآله ان الصدقة لاتحل لمحمد وآل محمد دل على ان آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها الخمس وهم صليبة بني هاشم وبني المطلب)... (ورجح ابن الاثير هذا المعنى وقال الشافعي دل هذا الحديث ان آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها الخمس»^(٢٤) .

والآل اوسع دلالة من الاهل. ومن هنا كان منشأ الخلاف في تفسيرها، ذلك أن الاهل ينحصر مفهومها بالذرية، وما ينتسب الى الرجل من ولده، وولد ابيه وجده، على الأبيتعد بهم النسب. اما الآل فقد انسحب مدلولها على الاتباع بدليل قوله تعالى ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢٥) . وقد اراد سبحانه هنا اتباع فرعون^(٢٦) .

ولعل اختلاف السعة المفهومية بين الآل والاهل كانت وراء جنوح العامة في فهمهم واحتجاجهم بأن الآل هم الاهل في الحديث المروي عنهم (آل محمد امته) وقد دفع الامام الرضا عليه السلام هذا المعنى من حيث ان الصدقة تحل للامة وتحرم على الآل^(٢٧) .

وهذا كان استدلاله الاول على أن الاصطفاء قد وقع لخصوص العترة الطاهرة، لالعموم الامة مما لا يقبله عقل، ولا ينطبق على واقع.

ولما كان الانسان اكثر شيء جدلاً، ظل الناس يستوضحون الامر. وكلما جاءهم دليل رغبوا بغيره، ثم رغبوا عنه الى آخر. وفي ذلك حكمة الهية بالغة ذلك كي لايقول قائل بقلة الدلائل واقتصارها على وجه دون اخر ولهذا نجد ان في تاريخ كل امام معصوم عليه السلام اجمعين لا بد من حدوث مناظرة او ايراد اسئلة تتناول هذه القضية ذات الاهمية الكبرى في حياة المسلمين على مستوى علاقتهم بالله تعالى وتعبدهم بالامثال والطاعة وعلى مستوى علاقة بعض الفرق الاسلامية ببعضها الاخر وما يستتبعه هذان المستويان من تنظيم العبادات والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية في مجالات الحياة المختلفة.

ولما كان القران الكريم ﴿تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَيُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢٨) فقد وجد فيه الرائد الناصح ينابيع الهداية ومشارب الفلاح و اشار بها الى قومه فمنهم من كان له بذلك بشرى ومنهم من لا يجب الناصحين فما زادهم ذلك الاعتأ وكفرا.

وإذ نحن في رحاب الامام ابي الحسن الرضا عليه السلام، نستقري جداه ونستمطر محيي غيئه لنقف على استدلالات عظيمة الفائدة، قدر المأمون أن ينال من الامام عليه السلام إذ ظن عجزه بإزاء حجج واستدلالات العلماء الذين حشدتهم لهذا الغرض .

فقتل كيف قدر وكبت فكان من الهالكين.

سأل العلماء الامام عليه السلام: هل فسر الله الاصطفاء في الكتاب؟ فذكر لهم اثني عشر موضعاً فسر فيها ذلك، في الظاهر سوى الباطن^(٢٩).

وستحاول هذه السطور-على قصورها- أن تعرض هذه المواضع مكتفية بابي الحسن الرضا عليه السلام ممثلاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام -إلا في القليل النادر- ومكتفية ببعض مصادر جمهور علماء المخالفين، ذلك ان جلهم متفقون على دفع فضائل ودلائل إمامة المعصومين من آل محمد عليه الصلاة والسلام وإن اختلفت أساليبهم ومروياتهم في ذلك .

الموضع الاول: قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣٠) .

وهي على قراءة ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود: «وانذر عشيرتك الاقربين» ورهطك المخلصين «والرهط فضلا عن كونها تعنى قوم الرجل وعشيرته وانها لفظه تدل على مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة وقيل الى الاربعين فهي مختصة بالادنين من العشيرة والاقارب»^(٣١) .

وهذا الامر بأختصاص الاقربين بالانذار انما هو لتقديم لهم واعتناء بهم «وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله ﷺ بذلك الآل» على حد قول ابي الحسن عليه السلام^(٣٢) . وخبر دعوة النبي صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب وانذاره لهم ثم تبشيره اذا ما هم اطاعوه مستفيض ذكره في كتب العامة والخاصة فقد ذكر الحاكم الحسكاني، بحديث طويل ينتهي الى قول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: انا اهل النذير اليكم من الله تعالى، والبشير لما يجيء به احدكم . جئكم بالدنيا والاخرة . فأسلموا واطيعوني تهتدوا . ومن يواخيني منكم ويوازرني، يكون وليي ووصيي من بعدي وخليفتي في اهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم، واعاد ذلك ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: انا . فقال: انت . فقام القوم، وهم يقولون لابي طالب: اطع ابنك فقد امره عليك^(٣٣) .

ثم يذكر في هامش هذه الرواية ان في تاريخ دمشق سبع طرق مختلفة لهذا الحديث . ولا يكون ذلك مانعا للقوم من ان يروا رأيا اخر يضعف دلالات هذه الرواية، فتروى عندهم وبأسانيد مختلفة وطويلة، تنتهي الى القول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال بعد ان طعموا وشربوا: يابني عبد المطلب يابني هاشم يابني عبد مناف، افتدوا انفسكم فأني لا اغني عنكم من النار شيئا . ثم قال: ياعائشة بنت ابي بكر، وياحفصة بنت عمر ويافاطمة بنت ممد وياصفية عمه ممد، اشترين انفسكن من النار، فاني لا اغني عنكن شيئا^(٣٤) .

والحال ان هذه الرواية تستوقفنا في اكثر من موضع، لعل منها: انه هل من المناسب ان يؤيسهم من قرابته لهم وهو مأمور ببرهم بأن امره الله تعالى بالبدء بهم بما جاء به من

خير عميم؟ أو انها تقويض لمبدأ الشفاعة الذي نقول به وحط لمكانة الرسول ﷺ من مكان بعيد؟ وإذا كان القرآن الكريم يأمر بالدعوة بالحسنى فأين الحسنى من الوعيد الذي تستبطنه نبرة الكلام هذا التي تنسبها الرواية لنبي الرحمة؟ اين الوعد من هذه الدعوة؟ ولعل منها: لما كان الرهط معنى يفضي من الاذنين من الرجال دون النساء^(٣٥) ، لماذا يوجه رسول الله ﷺ خطابه الى زوجتين من ازوجه والى ابنته والى عمته؟ الا يتضح هاهنا زج غير موفق لاسماء يراد لها ان تكون حاضرة في كل المواقف مقدمة -ولو من خلال الانذار- والا لماذا لم يذكر عليه الصلاة والسلام الاخريات من نسائه؟ السن جديرات بالانذار وفيهن ابنة عمته زينب بنت جحش؟ ولكنه الانكار للحق ذلك انهم ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(٣٦) .

الموضع الثاني: وما احتج به ابو الحسن عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣٧) .
وانه فضل للآل لا يجحده معاند لانه فضل بين^(٣٨) .

ومن اللافت ان صاحب كتاب شواهد التنزيل يورد من الادلة والروايات على نزول هذه الاية المباركة في فضل علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ما يستغرق به عشرات الصفحات تتفق جميعها على تأكيد هذه الروايات وما قالت به من نزول الآية المباركة في بضعة النبي المصطفى وزوجها وابنيهما عليهم الصلاة والسلام اجمعين. وجميع تلك الروايات تجمع على أن نزول الآية كان في بيت أم سلمة رضي الله عنها وتوطن لها فضيلة كونها زوجة للنبي الأكرم ممن لم تغير ولم تحدث بعده. وتدل دلالة واضحة على أن زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسن من أهل بيته وإلا فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام لإم سلمة أنك الى خير وإنك من أزواج النبي؟ وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وهو المنزه عن فضول الأقوال والأفعال التي لا يمكن بحال أن تنسجم مع الخلق العظيم، الذي أثبتته الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم في محكم كتابه، في

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣٩).

ومن تلکم الروایات الكثيرة هاتان روايتان على سبيل المثال لا الحصر، مما ذكره الحاكم الحسكاني في نزول الآية المباركة في خصوص (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام):

١. رقم الرواية (٧١٠) عن أبي سعيد عن أم سلمة قالت: أنزلت هذه الآية في بيتي... الآية. قلت: يارسول الله أأنت من أهل البيت؟ قال: أنت الى خير إنك من أزواج النبي، قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين ﷺ أجمعين^(٤٠).

٢. رقم الرواية (٦٤٠) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ﷺ ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ ثم يتلو الآية^(٤١).

واللافت حقاً أن صاحب الكشاف يرى أن المراد من (أهل البيت) نساء النبي ﷺ وغاية ما عنده من دليل كون هذه العبارة (أهل البيت) منصوبة على النداء أو على المدح وعليه فهي دليل بين على أن نساء النبي من أهل بيته!^(٤٢) والحال ان النساء -الزوجات- لو كنّ من أهل الرجل وعصبته لبقين كذلك عند تطليقهن فضلاً عن أن العرف الاجتماعي ساد على إلحاق ما تلد المرأة بالرجل وعشيرته ولو كان الأمر كما يزعمون للحقّ بنو المرأة بأبيها وعشيرتها أو لتساوى الأمران -أن يلتحقوا بأبي من أبويهم- في أقل تقدير.

ولما وجدنا تفریقاً في الفرقان العظيم بين ما تفرضه علاقة الرجل بالمجتمع اذا كانت من جهة الرجل واذا ما كانت من جهة المرأة وذلك قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾^(٤٣).

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٤٤) ذكر الإمام الرضا عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله أبرز للمباهلة عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقرن نفسه صلوات الله عليه بنفس علي عليه السلام مثلما فعل حين قال عليه الصلاة والسلام: لينتهين بني وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفي، يعني علياً عليه السلام وهذه خصوصية لعلي عليه السلام، وشرف لا يدانيه فيه أحد أن جعل رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه الطاهرة كنفسه عليه السلام^(٤٥).

وقصة المباهلة معروفة في كتب السير والصحاح والتفاسير إذ تروي جميعها أن (السيد والعاقب) وهما من رؤوس القوم عند نصارى نجران جاء الى النبي عليه الصلاة والسلام ينكران عليه دعوته ويدعوانه لتركها أو إثباتها، فكان أن دعاهما صلى الله عليه وآله الى المباهلة. فقال احدهما للآخر- لما رأى النبي ونفسه وأبناءه ونساءه عليهم الصلاة والسلام أجمعين-: لا تلاعنه. إنك إن لاعنته لا نفلح نحن ولا أعقابنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لاعنوني ما بقيت في نجران عين تطرف^(٤٦) من أجل ذلك صارت حادثة المباهلة مورداً من موارد اختصاص الآل ب (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام).

يذكر صاحب الكشاف أنه صلى الله عليه وآله خص الأولاد والنساء لأنهم أعز الأهل وأصدقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وفيه دليل لاشيء أقوى منه على تفضيل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه دليل واضح على نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنه لو لم يكن مطمئنا لصدقه ما عرض أحب الخلق إليه للهلاك^(٤٧).

ألا يثير هذا تساؤلاً بديهاً: كيف والحال هذه، يترك رسول الله أهله من نساء وأبناء من دون حق ولا غطاء ولا يؤثرهم بشيء مما حباه الله به لاعلى المستوى المادي، ولا على المستوى المعنوي! الأمر الذي دعا ابا عبد الله الصادق عليه السلام أن يسأل الأحوال -ولعله يسأل بمرارة

-: ما تقول الناس في الخمس؟ قال: قلت: تزعم أنه لها . قال ما أنصفونا والله لو كانت مباحلة ليباهلن بنا ولئن كانت مبارزة ليبارزن بنا ثم نكون وهم سواء^(٤٨) . وفي موضع آخر، عن عمر بن سعد قال: قال معاوية لابي: ما يمنعك أن تسب ابا تراب؟ قال: لثلاث رويتهن عن النبي ﷺ لما نزلت ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ اخذ رسول الله ﷺ بيدي علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ اجمعين قال هؤلاء اهلي^(٤٩) . وماذا بعد كل هذا الحق إلا الضلال .

إن حكمة الخالق العظيم تقتضي أن يهلك من هلك عن بينة، وأن يحيا من يحيا عن بينة . وما أقوال الأئمة وأفعالهم إلا بينات من الهدى تقود الى النجاة والفلاح . مثلما أن كل ما اجترحه الأمة بعلمائها، وساستها، وقادتها من تحريف للحقائق وتزييف للوقائع، إنما هو بينات دامغات على عصيانهم وشدة شقاقهم . والله المستعان على ما يصفون .

فياليت لبعض فرق المسلمين مثل ما أوتي مبعوثا النصارى من الحكمة في الاذعان للحق والتسليم به! وإذ لم تكن -ولن تكون- فياليتها كانت مباحلة بين رسول الله ﷺ والمؤمنين به المسلمین لأمره وبين هؤلاء المتشدقين المتفيهقين، نظير ما كان بين أنبياء الله في الأمم السالفة وأقوامهم!

الموضع الرابع: انه لما ثبت عند جميع المسلمين حديث المنزلة وهو قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدي . وثبت في القران الكريم الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ان الله ﷻ قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾^(٥٠) فقد استدل الامام الرضا عليه السلام على الموضع الرابع من مواضع اصطفاء الله ﷻ لمحمد وآل محمد للرسالة والامامة اذ اراد جعل بيوتهم قبله فكان ان خرج رسول الله ﷺ - بأمر الله تعالى - الناس من مسجده وابقى عليا عليه السلام مؤكدا لهم ان الله اخرجهم وابقاه^(٥١) .

وفي حديث يُرد الى عبد الله بن عمر في جواب له عن فضل علي عليه السلام يقول فيه: «لقد اوتي ابن ابي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فولدت له. وسد الابواب الا بابه في المسجد . واعطاه الراية يوم خيبر.»^(٥٢)

ولنا أن نتساءل: مع معرفة ابن عمر وأشباهه بفضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، مما يتمنون ولو واحدة من عديدها الذي لا يدركه الا الله سبحانه، أما كان حرياً بهم أن يذعنوا للحق ويتبعوه لينهلوا من مناهله الروية؟

الموضع الخامس: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٥٣) واذ يقرر ابو الحسن الرضا عليه السلام ان نزول هذه الاية المباركة، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بها انما هو خصوصية خص الله بها نبيه الاعظم، إذ اكرمه بأن تكون غنيمة نصره له خاصة، لما لم يقاتلهم احد من المسلمين بل تحقق النصر بأن اوقع الله رهبة رسوله عليه الصلاة والسلام، في نفوسهم فصالحوه، ثم امره الله سبحانه ان يهب هذه الغنيمة الى فاطمة عليها السلام فكانت (فدك) هبة من الله ونحلة من رسوله لسيدة نساء العالمين^(٥٤) مدة حياته الشريفة لم يردّ عليه ذلك أحد، ولكن بعض المسلمين انقلبوا على إرادة الله، فحادّوه، وحادّوا رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن مفارقاتهم في التفسير الذي يشترق ويغرب يذكر الفخر الرازي مسائل عدة في المراد من (ذا القربى) ويقدمه على ما تذكره الاية من (المسكين وابن السبيل) فيقول: «فقال ذا القربى اشارة الى ان هذا حق متأكد ثابت اما المسكنة فقطراً وتزول، ويعزز ثبوت حق القربى كونها مضافة الى اللفظ (ذا) الذي لا يرد الا في الثابت»^(٥٥).

ومع كل هذه البراهين والترجيحات لحق ذوي القربى لم يجد بعض المسلمين من غضاضة في أن يمنعوا أهل بيت النبوة حقهم في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم والداً، رحماً ووصولاً، عليه القيام بحق أبنائه، ليكون أسوة لبقية المسلمين، ومنبعاً للفضائل، وباباً لرحمة الله الواسعة، وموجهاً للأمة الى كل مكرمة .

ولم يسأل علماءهم أنفسهم ما بالهم يبيحون للحاكم المسلم - ولي الأمر عندهم - أن يقسم أموال المسلمين على وفق هواه، فيخص بها ذوي قرباه، ولا يترك لرعاياه الا الفتات في حين ينكرون على صاحب شريعتهم التي بها ارتقوا منبره، واعتلوا العروش، أن يترك لبضعته الطاهرة شيئاً مما أفاء الله به عليه من دون قتال منهم، ولا زحف ولا تجهيز! وما ذلك إلا خوفاً من ألا تكون (فدك) بستاننا، بل دولة مترامية الأطراف سال لها لعاب حزب إبليس فغيروا قولاً غير الذي قيل، والله في كل ذلك يملي لهم ليزدادوا إثماً، ثم ليكبهم على وجوههم في النار لا يفترون عنهم العذاب ولا هم ينقذون .

الموضع السادس: وهو فريضة من الله على المسلمين من اتى بها فهي له، ومن تركها فهي عليه ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾^(٥٦) وهي قول الله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٥٧) . وقيل إن الانصار قالوا: يارسول الله من هؤلاء الذين الله أمرنا بمودتهم؟ قال ﷺ: علي وفاطمة وولدهما^(٥٨) . وذلك بعد ان رأى الانصار ان يعينوا رسول الله ﷺ على ما يتكلفه من حقوق وينوبه من نوائب فجمعوا له من اموالهم شكرانا منهم لهدايته لهم، فنزلت الاية تخبرهم أن أجر رسوله عليه وعلى آله الصلاة والسلام على ما هداهم إليه من الإسلام هو ان يوادوا قرابته^(٥٩) . فما وفي منهم الا قليل وطعنوا في مصداقية الرسول ﷺ ففضح الله سبحانه سرائرهم وانزل ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٦٠) ، فندموا واشتد بكاءهم فأنزل تبارك وتعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦١) .

إنَّ ارتباطَ نزولِ ثلاثِ آياتٍ مباركاتٍ من أجلِ تبيانِ امرِ ما، لا بدَّ وانه يظهر

اهمية ذلك الامر وتأكيده وانهم لما اخذوا على انفسهم تتبع اسباب نزول الآية الواحدة بل الجزء من الآية ويكثرون من تتبع طرق روايات ذلك الجزء او تلك الآية فاللغات اكثر عندما تجتمع عدة نصوص لتعمق دلالة بعضها بعضاً وتبرز مضمونها اقتضت أهميته ان يظهر الله تعالى سرائر نفوس القوم فيرد عليها وهذا امر لا ينكر ودلالته الا الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً .

الموضع السابع: استدلال الامام الرضا عليه السلام في السابع من مواطن دلالة الاصطفاء الظاهر سوى الباطن على حد تعبيره عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٦٢) .

ولما لم يكن لهم بد من قبول الامر اختلفوا في كون الصلاة على محمد وآل محمد واجبة أم مندوبة؟ قال صاحب الكشاف: قلت واجبة ومن ثم اختلفوا في وجوبها بالصلاة المفروضة وعند كل اذكر فجعلها أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطاً في الصلاة بل اكتفى بعضهم بالتشهد وهو السلم عليك ايها النبي . وأما الشافعي فقد جعلها شرطاً^(٦٣) .

ومع تسالم المسلمين على صحة الحديث الموضح لكيفية الصلاة عليه وعلى آله من انه «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد» لم يكن امامهم الا الجدال في معنى آلال فعضد الامام الرضا عليه السلام قوله بقول الله تعالى ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ بعد ان اخذ اعترافهم بأن المراد ب (يس) هو النبي محمد عليه السلام ومن هنا كانت السابعة من الدلائل على اصطفاء محمد وآل محمد ان الله تعالى خصهم بالسلام دون سائر الانبياء جميعاً فلم يقل سلام على آل ابراهيم او على آل موسى^(٦٤) .

ولكن علماء الجمهور لم ينفكوا يضببوا هذا المعنى . وهم بين قائل بقراءة ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة وسكون اللام، وهو اسم الياس كما يروونه ويصوبه الطبري ويستبعد ان يكون

(آل) بالمد لان السياق لا يحتمل كما يرى فقد سَمِيَ كل نبي باسمه من دون تصدير اسمه بـ (آل)^(٦٥) .

وبين قائل: «واما من قرأ (على آل ياسين) فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل»^(٦٦) . واذا كان اكثرهم ذكر ان المراد من آل ياسين (آل محمد)، فقد حشر هذا المراد بين أقوال عديدة من دون تمييز أو تأكيد بل ذهب بعضهم الى ترجيح معنى آخر عليه! فالفخر الرازي ارتأى ثلاثة مرادات من (آل ياسين): الأول ما ذكرناه في أعلاه ويقول عنه: وهو الأقرب! والثاني أنه (آل محمد) والثالث أن ياسين هو اسم القرآن وإذا فال ياسين معناه آل القرآن.^(٦٧) وغير بعيد عنه رأي ابن كثير^(٦٨) .

وللشوكاني فضاء مقارب دارت فيه طروحاته التفسيرية. إلا انه ذكر عن سعيد بن جبير وغيره أن ياسين هو اسم من أسماء محمد ﷺ دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ويستشهد على ذلك بقول السعد الحميري:

يانفس لا تمحضي بالنصح جاهدةً على المودة إلا آل ياسين^(٦٩)

وفي الشواهد أن نافع وابن عامر وورش وشيبة قرؤوا (آل ياسين). وفيه عن ابن عباس أن آل ياسين، آل محمد^(٧٠) وهذا ما لم يستطع العلماء في حضرة الإمام الرضا ﷺ إلا أن يسلموا به^(٧١)، فتضح وتتأكد أمامهم هذه الفضيلة لآل محمد عليهم الصلاة والسلام كي لا يقول قائل منهم أو ممن يتبعهم عما جاءهم من الحق ﴿لَوْ لَا فَضِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(٧٢) .

الموضع الثامن: بعد ان اوجب الله سبحانه وتعالى لذوي القربى حقا على نبيه

ﷺ وامره بإيئائه اليهم، زادهم كرامة بأن اشركهم ورسوله ﷺ معه، جلّ وعلا في حق من حقوقه الواجبة، ذلك هو الخمس فقال عز من قائل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٧٣) وفي هذا قال ابو الحسن ﷺ ان الله تبارك وتعالى فصل بين الامة والآل اذ جعل نفسه ورسوله وآله من ذوي القربى في حيز والناس كلهم في حيز دون ذلك حتى

اليتامى والمساكين لأن علة احتياجهم جزء من الخمس تنقطع بأنقطاع اليتم عن الاول وانقطاع المسكنة عن الثاني اما سهم ذوي القربى فلا ينقطع لان صلة الرحم لا انقطاع لها.

وفي تفسير العياشي ان الامام الصادق عليه السلام سئل عن المراد من الآية فقال هم اهل قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فسئل: منهم اليتامى والمساكين وابن السبيل؟ قال: نعم ^(٧٤).

وفيه ايضا عن فيض بن ابي شيبه عن رجل عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ان اشد ما يكون الناس حالا يوم القيامة اذا قام صاحب المس فقال يارب خمسي وان شيعتنا من ذلك لفي حل ^(٧٥).

ونقلاً عن الكشاف ان الفيء، كان يقسم على زمان رسول الله صلى الله عليه وآله على خمسة اسهم اربعة: منها لرسول الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة اسهم: سهم منها لرسول الله صلى الله عليه وآله. والاسهم الاربعة لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ^(٧٦). وروي في مجمع البيان عن امير المؤمنين عليه السلام قوله **﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾** قال: هم قربانا. قلت: واليتامى وابن السبيل؟ قال: هم مساكينا وابناء سبيلنا ^(٧٧) وقد غير المسلمون نهج رسول الله صلى الله عليه وآله، من بعده، في تقسيم الفيء والخمس بما استفاضت في ذكره مصادر الجمهور وتفرقت السبل فيهم لتبرير ذلك الفعل حتى لقد اغلظ الشافعي لابي حنيفة القول لما حصر الفيء بالفقراء عملا بما تأسس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. واحتج عليه بان الله تعالى قد علق الاستحقاق بالقرابة، ولم يشترط الحاجة، وعدم اعتبار القرابة مضادة ومحادة ^(٧٨) اما الطبري في جامعه فيذكر ان في الآية ثلاث مسائل:

الأولى: أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد هو وأمه وفيها تأكيد حق ذوي القربى لصلة الرحم والثانية: أن هذه الآية منسوخة بآية الموارث. وقيل لانسخ، إن للقريب حق لازم في البر على كل حال وهو الصحيح! الثالثة: ان المراد بالقربى اقرباء النبي صلى الله عليه وآله والأول أصح فإن

حقهم ميين في كتاب الله عز وجل في قوله ﴿فَأَنَّ اللَّهَ خُسَّهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٧٩) .

إن المتتبع لآراء جمهور العلماء يجد أنهم عندما يضايقهم الحق ولا يجدون سبيلا الى دفعه نراهم يجهدون أنفسهم في تقصي أو هن الأقوال وأضعف الروايات ليصدها بالتصويب والتصحيح والأولية وما الى ذلك من دسهم ومعاندتهم للحق. وما ذلك من أنفسهم بل انهم اتبعوا الممهدين لهم بالتمكين من الذين غمطوا مكانة البضعة الطاهرة ﷺ وديعة رسول الله ﷺ وآلهما فحرموها بكل ما آتاهم الشيطان من قوة فلم يبروها لصلتها برسول الله بأن أنكروا أن يكون أبوها ﷺ قد برها بعبء أو صلة فضلاً عن إرث! على أنهم قد وصلوا أرحامهم ومواليهم بكل ما أفاء الله على الدولة الإسلامية أبان توسعها وازدهارها ولا أدل على ذلك مما صدر من الثالث من خلفاء مسلميهم. أتراهم عملوا بما لم يعمل به رسول الله ﷺ والعياذ بالله!؟

لانتغرب قولهم ذلك وهم من يطعنون بعصمته عليه الصلاة والسلام ويؤمنون بعدالة الصحابة النجوم! ولكنهم مصداق قوله تعالى: ﴿أَمْ يُسْئِدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٨٠) . ومع انهم يفسرون الحكمة بالنبوة الا انهم يفسرون الملك العظيم بالنساء^(٨١) . وهم هنا إما يحطون من أنفسهم وذلك أنهم يرون كثرة النساء ملكا عظيماً، وإما يحطون من قدر الشارع المقدس بأنه يرى ذلك كذلك، تعالى الله علواً كبيراً. وإما انهم يغيبون المعنى المراد إيغالاً بالكفر والجحود ودفعاً للناس عن معرفة فضل محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام اتباعاً لمن ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾^(٨٢) . ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .

الموضع التاسع: قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال الامام الرضا

عليه السلام: الذكر رسول الله ﷺ ونحن اهله وذلك بيان قول الله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾. وذلك لما زعم علماء القوم ان المراد بأهل الذكر هم اليهود والنصارى فرد عليهم: هل يجوز ذلك اذا يدعوننا الى دينهم ويقولون انه افضل من دين الاسلام؟^(٨٣).

روى العياشي عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال: قلت له ان من عندنا يزعمون ان قول الله ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ انهم اليهود والنصارى فقال عليه السلام: اذا يدعوكم الى دينهم قال ثم قال بيده الى صدره نحن اهل الذكر ونحن المسؤولون^(٨٤). وتلك ذرية بعضها من بعض وهم خير البرية.

وجريا على اجماع الجمهور، يرى صاحب الكشاف ان المسؤولين هم اليهود والنصارى. واما السؤال فهو عن بعثهم الله من الرسل: ألم يكونوا بشرا؟^(٨٥) وعن سفيان اسألوا مؤمني أهل الكتاب. ويروى عن ابن عباس، أن أهل الذكر هم أهل القرآن. وقيل أهل العلم^(٨٦).

أما (الذكر)، الذي احتج الامام الرضا عليه السلام بأنه محمد صلى الله عليه وآله، فهذا ماتشعبت بشأنه أقوال علماء الجمهور، فقالوا إن المراد بالذكر هو الرسالة، لما لم يستطيعوا دفع كون كلمة (رسولاً) بدلا من كلمة (ذكر). وقالوا إنه بمعنى الشرف ثم بين الله سبحانه هذا الشرف، فقال رسولاً - على حد زعمهم - وأولوا قول الله تعالى ثالثه ب (صاحب ذكر). وربما كان معمولا للمصدر. ولكن ما أراد الله لا بد يظهر على ألسنتهم، ولو ضعفوه وضببوه ولهذا لم يكن لهم من بد من القول: والأكثر على أن المراد بالرسول هنا محمد^(٨٧). ومن حيث أنه بدل من (ذكراً) ثبت أن أهل الذكر هم أهل محمد عليهم الصلاة والسلام. ومن هنا منشأ حسد الشيطان وحسد أوليائه أن قدمهم الله وأوجب طاعتهم فهم عدل القرآن وتراجمته والقائمون عليه الراسخون في علومه ظاهرها وباطنها محكمها ومتشابهها مكيتها ومدنيها ناسخها ومنسوخها، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

الموضع العاشر: وذلك قول الله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾^(٨٨) سأل الرضا عليه السلام اذا كانت ابنته او حفيدته تحل زوجة لرسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا. فسألهم اذا ماكانت احدى نسائهم تحل لذلك فقالوا: بلى. فقال: ان هذا بيان انه من آل النبي صلى الله عليه وآله وليسوا هم. كذلك وهذا فرق بينهم وبين الامة^(٨٩). وهو عين ما احتج به الامام الكاظم عليه السلام على هارون العباسي^(٩٠).

الموضع الحادي عشر: قال الامام الرضا عليه السلام حُصِّصْنَا نَحْنُ اِذْ كُنَّا مِنْ آلِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله بولادتنا وعممنا الناس بدينه، ذلك بان الله تبارك وتعالى قد نسب مؤمن آل فرعون الى فرعون بنسبه لانه كان ابن خاله. فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٩١).

فاذا كان نسب مؤمن آل فرعون الى فرعون مع اختلاف دينها، فما بالك بمن يعود الى محمد صلى الله عليه وآله في الفكر والعقيدة، كما يعود اليه في النسب، فهم من صلب واحد! لكن الأمة مصرّة على قطيعة نبينا الأكرم، وثكله بولده وتشريدهم في الآفاق ونهب حقوقهم والتجني عليهم بمختلف الجنايات - ولا أقل من إنكارهم إسلام أبي طالب عليه السلام وادعائهم وجود خلافات بين السيدة الزهراء عليها السلام وعلي عليه السلام وما أثاروه من منكرات بحق الإمام الحسن عليه السلام والقائمة تطول وتطول - وما في ذلك من إيذاء متعمد ودائم ومستمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وهذا عين ما صرح به عليه الصلاة والسلام إذ قال: (ما أودى نبي مثلما أوديت)^(٩٢) وما أظنه صلى الله عليه وآله عنى بذلك مدة حياته الشريفة فقط وما نرى ونسمع به من فضائع ومنكرات بحقه وبحق دينه الحنيف سواء ممن ينسبون لهذا الدين أم من أهل الكتاب والملحدّين أشد أذى وأمضى أثرا مما حصل أبان الدعوة المباركة وأبان نشوء الدولة الإسلامية .

الموضع الثاني عشر: الصلاة فريضة من الله سبحانه امر بها في كتابه الكريم في كثير من المواضع فقال ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٩٣) وقال ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٩٤)

و ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾^(٩٥) و ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾^(٩٦) و ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^(٩٧) وإذا كان سبحانه وتعالى قد أكد هذه العبادة على نبيه وامته من ورائه فإنه خص أهل نبيه بقوله سبحانه ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٩٨) . وقد فسرها الامام الرضا عليه السلام بالكرامة من الله لهم عليهم السلام اذ لم يخص الله احدا من ذراري الانبياء بمثل ذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب فاطمة عليها السلام تسعة اشهر وينادي: الصلاة الصلاة يرحمك الله^(٩٩) .

لعل في السطور السابقة غيظ من فيض ما جاهد أئمتنا عليهم الصلاة والسلام وأوقفوا حياتهم الشريفة لإيضاحه للأمة والنصح باتباعه رغبة في فلاحها . وليست الغاية منه استيفاء جميع الحجج في المواضع محل العرض . ولا يمكن ذلك بحال . وهذا بيان قول الإمام الرضا عليه السلام من أن المواضع التي تعرض لها ، إنما هي مما ورد في الظاهر، ناهيك عما خص أهل البيت عليهم السلام من إدراكه من مواضع اصطفتائهم والتنويه بفضلهم ، مما لا يعلمه الا هم عليهم الصلاة والسلام ، ومن يؤذنون بفضله واستيعابه من لدن حكيم خبير ، فيأذنون له بنشر ذلك من خالص اتباعهم ومواليهم ، دفعا للشبهات وما يرجف به المتفيهقون من هذه الأمة التي آذنها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأنها ستحذو حذو اليهود في شقاقهم ونفاقهم ومحادتهم لله تعالى ، فلو أن اليهود دخلوا جحر ضب لدخلته أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا القليل ممن وفي بمنن من الله وتوفيق .

ولعل في إيذانه الشريف لأئمة بهذا تفسير لكثرة ما ذكر الله تعالى اليهود في محكم كتابه العظيم . فلما لم يكن ما وقع ويقع من المسلمين قد حدث أبان نزول الوحي فلا وسيلة أنجع من أن يحاطبهم سبحانه ويعظهم ويحذر العاصي المعاند ويعد الممثل المخبت بمثل ما خاطب به اليهود وما بينه مما حدث لهم بعد كل ذلك . وقد علم كبرائهم قصد الله عز وجل ولكنهم أخفوا ما علموا وجهدوا في تغيير وجهة الاحداث والتاريخ وما يقف وراء ذلك من تقدير العزيز القدير وما علموا

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١٠٠) .

أما الذين شرح الله صدورهم للإيمان فيقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان فتهتفت قلوبنا وعيوننا تفيض من الدمع لما عرفت من الحق: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الكريم وآل بيته الطيبين الطاهرين .

لقد كانت المواضع التي بين الإمام الرضا عليه السلام المراد منها، من المفاصل المهمة في حياة المسلمين إذ لم تشغل مسألة ما المساحة التي شغلتها مسألة الإصطفاء الإلهي لمنصب الخليفة الذي أراه الله جلّ وعلا ميداناً للابتلاء . فإذا امتثل الناس لإرادته فيمن اصطفاهم ولم يقولوا ما علمه الله في نفوسهم، فأجراه وحياً مباركاً على ألسنتهم: ﴿أَهْوُلَاءٍ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِم مِّنْ بَيِّنَاتٍ﴾^(١٠١) كانوا هم الفائزين . وجعل ذلك ابتلاءً يستجلي السرائر ويثبت المواقف كي لا يعتذر معتذر بأنهم لم يعلم القصد، ولم يُشر اليه بالرشاد .

ان كل ما تقدم -على إيجازه وقصوره- إنما هو مصداق من مصاديق الرحمة الإلهية ببني البشر، لعلمهم بهتدون . استعرضت فيه أشهر الروايات من دون تكرار مع محاولة جهدت أن تكون موفقة لاختيار أكثر تلك الروايات دلالة على المقصود في كل موضع، ذلك ان استيفاء كل المرويات يخرج الموضوع عن هدفه المتواضع في أن يضع اشارات بسيطة، وموجزة لمن يريد الاستزادة . ولا يخفى أن هناك خطان أساسيا في التعامل مع الموضوعة قيد الاشتغال، الاصطفاء وعلاقة ذلك بالآل عليهم السلام من حيث أنهم التمثيل الأظهر/الأوحد، عند كل من يمعن النظر بتجرد، وغايته الوصول الى جوهر الحقيقة، لاغير .

والملاحظ ان جميع علماء المسلمين سواء أكانوا مفسرين، أم كانوا أصحاب سير أو صحاح، قد تعاملوا مع مرويات ترددت بينهم ونالت اهتمامهم، واستدرت جهوداً حثيثة

منهم، ولكن الأمر الذي كان موضع جدل وخلاف دائم يشتد حيناً، ويفتر حيناً آخر، هو في كيفية مَوْضعة هذه المرويات وتمركزها في قلب معتقدات البعض، وكون الثقة بها والعمل على أساسها يمثل امتثالاً للإرادة الالهية، مثلما كان الأمر عند الملائكة لما تعبدهم الله ﷻ بالسجود للآدم عليه السلام. في حين ان هذه المرويات ذاتها كانت هامشاً في اهتمام البعض الآخر الأمر الذي جعلهم يدفعون بها الى الظل، ويغيّبون دلالاتها، ومن ثم ارتباطاتها بحياة المسلمين وأثرها في تنظيم علاقة الخلق بالخالق. نسأل الله التوفيق والسداد لما يجب ويرضى، من طاعته والإذعان لإرادته. والحمد لله من قبل ومن بعد .

الهوامش

- القرآن الكريم .
- (١) تحف العقول عن آل الرسول. ابن شعبة الحراني. منشورات دار المجتبي. ٢٠٠٨: ٣٢٩.
- (٢) بحار الأنوار
- (٣) سورة الانبياء: ١٠٧.
- (٤) سورة آل عمران: ٣١.
- (٥) سورة البقرة: ١٠٣.
- (٦) سورة الكهف: ٥٤.
- (٧) سورة الحشر: ٤.
- (٨) سورة ص: ٨٢، ٨٣.
- (٩) ينظر: كمال الدين وقام النعمة. الشيخ الصدوق تح الشيخ حسين الأعلمي منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان ط ٢٠٠٤: ٢٣.
- (١٠) م. ن: ١٦.
- (١١) ينظر: م. ن: ١١.
- (١٢) تحف العقول: ٣٢٣.
- (١٣) سورة القصص: ٦٨.
- (١٤) لسان العرب مادة: ص ف و.
- (١٥) ينظر: الإصطفاء معناه وأقسامه. علي عساكر. شبكة الجفر الألكترونية.
- (١٦) ينظر: م. ن.
- (١٧) ينظر: م. ن.
- (١٨) نهج البلاغة، من كلام سيد البلغاء والمتكلمين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. مؤسسة أنصاريان. قم المقدسة. ط ٢٠٠٦: ٤: ٢٠.
- (١٩) سورة التحريم: ٦.
- (٢٠) سورة الذاريات: ٥٦.
- (٢١) سورة ص: ٧١.
- (٢٢) ينظر: تحف العقول: ٣١٢.
- (٢٣) سورة النساء: ٤٦.
- (٢٤) ينظر لسان العرب: مادة آل.

- (٢٥) سورة غافر: ٤٦
 (٢٦) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣١.
 (٢٧) ينظر: تحف العقول: ٣١٣.
 (٢٨) سورة النحل: ٨٩.
 (٢٩) ينظر: تحف العقول: ٣١٤.
 (٣٠) سورة الشعراء: ٢١٤.
 (٣١) ينظر: لسان العرب: مادة: ره ط .
 (٣٢) تحف العقول: ٣١٥.
 (٣٣) شواهد التنزيل: ١: ١٢٠.
 (٣٤) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. تح: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي ط ٢: ٢٠٠١: ٣: ٣٤٤-٣٤٥.
 (٣٥) ينظر: لسان العرب مادة: ره ط .
 (٣٦) سورة الزخرف: ٥٨.
 (٣٧) سورة الاحزاب: ٣٣.
 (٣٨) تحف العقول: ٣١٥.
 (٣٩) سورة القلم: ٤
 (٤٠) شواهد التنزيل: ٧٥.
 (٤١) م. ن. ١٣.
 (٤٢) الكشاف: ٣: ٥٤٦.
 (٤٣) سورة الفرقان: ٥٤.
 (٤٤) سورة آل عمران: ٦١.
 (٤٥) ينظر: تحف العقول: ٣١٦.
 (٤٦) ينظر: شواهد التنزيل: ١: ١٢٦.
 (٤٧) ينظر الكشاف: ١: ٣٩٦.
 (٤٨) ينظر تفسير العياشي: ٢٠٠: ١.
 (٤٩) م. ن: ١: ٢٠.
 (٥٠) سورة يونس: ٨٧.
 (٥١) ينظر: تحف العقول: ٣١٦.
 (٥٢) عن مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٢٦. عن شبكة المعلومات.

- (٥٣) سورة الأعراف: ٢٦ .
- (٥٤) ينظر: تحف العقول: ٣١٧ .
- (٥٥) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب. الفخر الرازي دار احياء التراث العربي بيروت لبنان. ط ٢٠٠١، ٤: مج: ٩: ٥٠٧ .
- (٥٦) سورة الروم: ٤٤ .
- (٥٧) سورة الشورى: ٢٣ .
- (٥٨) شواهد التنزيل: ٢: ١٣١ .
- (٥٩) ينظر: م. ن: ١٣٨ .
- (٦٠) سورة الاحقاف: ٨ .
- (٦١) سورة الشورى: ٢٤ .
- (٦٢) سورة الاحزاب: ٥٦ .
- (٦٣) ينظر الكشاف: ٣: ٥٦٦، ٥٦٧ .
- (٦٤) ينظر: تحف العقول: ٣١٩ .
- (٦٥) ينظر: الكشاف: ٣: ٥٦٦ .
- (٦٦) ينظر: م. ن .
- (٦٧) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري. دار الفكر بيروت لبنان: ١٩٩٥: ٢٣: ١١٣ .
- (٦٨) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤: ٣ .
- (٦٩) تفسير فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني. عالم الكتب: ٤: ٣٥٩ .
- (٧٠) ينظر شواهد التنزيل: ٢: ١٦٥ .
- (٧١) ينظر: تحف العقول: ٣١٩ .
- (٧٢) سورة فصلت: ٤٤ .
- (٧٣) سورة الانفال: ٤١ .
- (٧٤) ينظر: تفسير العياشي: ٢: ٦٥ وما بعدها .
- (٧٥) ينظر: م. ن. ٦٧ .
- (٧٦) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب: مج: ٩: ٥٠٧ .
- (٧٧) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: ٩: ٤٣١ . شواهد التنزيل: ٢: ٢٧٤ .
- (٧٨) ينظر: الكشاف: ٢: ٥٠٣ . هامش رقم ١ .
- (٧٩) ينظر: جامع البيان: ١٤: ٢٣٦ . تحف العقول: ٣٢٠ .

- (٨٠) سورة النساء: ٥٤.
- (٨١) ينظر جامع البيان: ٥: ١٩٥.
- (٨٢) ينظر: شواهد التنزيل: ٢: ٢٧٤.
- (٨٣) تفسير العياشي: ٢: ٢٨٢.
- (٨٤) م. ن.
- (٨٥) ينظر: الكشاف: ٢: ٥٦٧.
- (٨٦) الجامع لأحكام القرآن: ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري دار احياء التراث بيروت لبنان ١٩٨٥: ٩٥: ١٠.
- (٨٧) ينظر: م. ن: ١٧٣.
- (٨٨) سورة النساء: ٢٢.
- (٨٩) ينظر: تحف العقول: ٣٢١.
- (٩٠) ينظر: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد. ابو عبد الله محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد. تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: ٢: ٢٣٨.
- (٩١) سورة غافر: ٢٨.
- (٩٢) بحار الأنوار:
- (٩٣) سورة لقمان: ١٧.
- (٩٤) سورة البقرة: ٤٣.
- (٩٥) النور: ٣٧.
- (٩٦) سورة هود: ١١٤.
- (٩٧) سورة الاسراء: ٧٨.
- (٩٨) سورة: طه: ١٣٢.
- (٩٩) ينظر: تحف العقول: ٣٢١.
- (١٠٠) سورة البقرة: ١٥٩.
- (١٠١) سورة الانعام: ٥٣.



الروايات التفسيرية

عند الإمام الرضا عليه السلام

... دراسة تحليلية ...

النبوة وعصمة الأنبياء أنموذجا

م.م. عبد الحسين راشد معارج الغلبي

جامعة الكوفة

كلية الفقه

قسم علوم القرآن والحديث الشريف



المقدمة

يتخذ الباحث من الروايات التفسيرية للإمام الرضا عليه السلام مادته البحثية لبيان أثر الإمام عليه السلام في النبوة، والفرق بين النبي والرسول، وأول شروط النبوة هي العصمة، كذلك أنواع الوحي الإلهي، معتمداً المنهج الأثري التفسيري محلاً ومبيناً عصمة الأنبياء والرسول (صلوات الله عليهم أجمعين)، مستدلاً بالآيات بالكرامة والأحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، كذلك آراء علماء المسلمين مستدلاً تارة وأخرى ناقد لبعض الآراء التي تنسب إلى الأنبياء والرسول عليهم السلام التي لا تليق بمكانتهم المقدسة كونهم حجج الله على الخلق وأمناءه عليهم، وقد اختار الباحث تسعة نماذج تفسيرية، علماً أن الروايات قد وثقت باعتماد المنهج السندي أو المتن، كذلك مترجماً لبعض الشخصيات، وموضحاً الألفاظ الغريبة، خاتماً البحث بالنتائج التي توصل لها الباحث، مع فهرست للهوامش ومترجماً للمصادر والمراجع، ونساءل الله التوفيق والسداد .

النبوّة

قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٨٤)، يشكل الإيمان بالنبوّة الأساس الثاني بعد الإيمان بالله تعالى وهو فرع على الإيمان بالله وعنايته بخلقه، والعقل البشري بعد أن آمن بالله تعالى بالدليل والبرهان القاطع قاده هذا الإيمان بالله إلى التصديق بالنبوّة والأنبياء وأنزال الكتب والشرائع.

ولقد تناول المتكلمون والفلاسفة وأهل العرفان والمتصوفة والمفكرون الإسلاميون هذه المسألة العقيدية الخطيرة الشأن بالبحث والدراسة والتحليل بوصفها أبرز ظاهرة غيبية في عالم الحس والمادة على هذه الأرض فهي تعني اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة والفيض الرباني بعالم الإنسان^(١).

ولقد قضت حكمة الله تعالى أن يكرم الانسان بالعقل ويزينه بالنظر والفكر كي يدرك بذلك كثيراً من مصالح العيش ومطالب الحياة ويستزيد يوماً فيوم من المعارف وإدراك المصالح لكنه لم يبلغ بعقله الكمال ولم يدرك الحق وحده فقد صبغه الله تعالى محدوداً في كل شيء لذا لم يتركه تعالى إلى عقله القاصر عن الكمال والحسير عن إدراك تمام المصالح فكانت نعمة من الله تعالى أنه أنزل الصحف والكتب هداية للعقل وإرشاداً للفكر وسلامةً للجسم وموافقةً للفطرة ووقوفاً بالإنسان عند حدود الإنسانية وإيثاراً لصبغ الحياة بما يأمر الله تعالى به من الإيمان وطاعته وقد جعل الله تعالى حملة تلك الكتب أفضل الناس في أقوالهم وأشرفهم في أهليهم، وهم رسل الله تعالى وأنبيأؤه من البشر إلى البشر^(٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران ١٦٤)،

ومنهم ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (النساء ١٦٥)، وكذلك ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الاحزاب ٣٩)، ويتجلى من ذلك أن النبوة: (وظيفة إلهية وسفارة ربانية، يجعلها الله لمن يجتنبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين إنسانيتهم فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى مافيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة)^(٣). وللنبوة في اللغة معان منها:

١. الاخبار: واشتقاقه يكون من الإنباء الذي هو الإخبار ويكون على هذا مهموزاً^(٤).
٢. الإرتفاع: أن يكون مفيداً للرفعة وعلو المنزلة واشتقاقه يكون من النبوة التي هي الإرتفاع، قال الطوسي: ومتى أريد بهذا اللفظ علو المنزلة فلا يجوز الا بالتشديد بالهمز وعلى هذا يحمل ماروي عن عليه السلام عنه قال (لا تنبزوا بإسمي) أي لا تهمزوه لأنه أراد علو المنزلة^(٥).

أما النبوة بالعرف والاصطلاح فقد عُرِّفَتْ بِأَنَّهَا: تفضل من الله تعالى على من اختصه بكرامته لعلمه بحميد عاقبته واجتماع الخلال الموجبة في الحكمة بنبوته في الفضل عمن سواه^(٦)، وقيل إنَّ النبي هو: المؤدي عن الله تعالى بلا واسطةٍ من البشر^(٧).

وفي وجوب بعثة النبوة وجوازها ذهب الإمامية والمعتزلة إلى وجوبها لاشتغالها على اللطف في التكاليف العقلية^(٨)، وإلى ذلك ذهب الفلاسفة أما الأشاعرة فلا يرون وجوبها^(٩) وأما القائلون بانتفاء البعثة ومنهم البراهمة واليهود وهم فرق منهم من خالف في جواز النسخ عقلاً ومنهم من خالف في النسخ سمعاً ومنهم من أجاز النسخ وخالف في نبوة نبينا محمد عليه السلام^(١٠).

ومن القائلين بانتفاء البعثة البراهمة إذ قالوا: إنَّ الرسول إما أن يأتي بما يوافق العقول أو بما يخالفها فإن جاء بما يوافق العقول ففي العقل كفاية وإن جاء بما يخالف العقول وجب ردُّ قوله، وهذه الشبهة باطلة، وذلك أن نقول لم لا يجوز أن يأتوا بما يوافق العقول، كذلك إنَّ هناك الكثير من الشرائع والعبادات التي لا يهتدي العقل إلى تفصيلها^(١١).

ولقد أوضح الامام الرضا العلة في بعثة الرسل والانبياء ومعرفتهم، فقد روى الصدوق عليه السلام عن الفضل بن شاذان* عن الرضا عليه السلام أنه قال: فإن قال قائل فلم وجب عليهم معرفه الرسل والإقرار بهم والإذعان إليهم بالطاعة؟ قيل: لأنه لما أن لم يكن في خلقهم وقوامهم مايكملون به مصالحهم وكان الصانع متعاليا عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن ادراكه لم يكن بدّ لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليه أمره ونهيه وأدبه ونفعهم على مايكون به إحراز منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليه معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولاسد حاجة وكان إتيانه عبثاً لغير منفعة ولإصلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء ^(١٢).

إنّ من يتدبر قول الإمام يرى أنّ الإنسان يجهل الكثير من مصالحه ونتائج أعماله والله أجل وأعظم من أن يهلك عبده بجهله بل أراد أن يجعله سعيداً في حياته الدنيوية وفي الآخرة من الناجين فالإنسان لن يبلغ بعقله الكمال ولن يدرك الحق، فمن باب لطفه بعث إلينا رسلاً معصومين فلو لم يكن معصومين لم تحقق الفائدة فأول صفة من صفات الانبياء عليهم السلام العصمة ^(١٣)، لكي يوضحوا سبل الخير من سبل الشر قال تعالى: ﴿أَنَا هَدَيْتَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الانسان ٣).

قال الشيخ المظفر عليه السلام: «فوجب أن يبعث الله في الناس رحمة لهم ولطفاً بهم

﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

(ال عمران ١٦٤) وينذرهم عما فيه ويشرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم» ^(١٤).

كذلك إنّ اللطف من الله تعالى واجب، لان اللطف من كماله المطلق وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم، فإذا كان المحل قابلاً ومستعداً لفيض الجود واللطف فإنّه تعالى لا بد أن يفيض لطفه اذ لا يخل في ساحة رحمته ولا ينقص في جوده وكرمه ^(١٥).

وليس المراد من وجوب اللطف إنّه تعالى مأمور به ومفروض عليه من الخلق، وإنما المراد

منه ضرورة اتصافه بهذه الضرورة كضرورة اتصافه بوجوب الوجود^(١٦).

إنَّ مباحث النبوة نالت اهتمام علماء الإسلام قاطبةً وأخذوا يكشفون النقاب عنها عبر البحث بآيات الكتاب المجيد والسنة المطهرة وإبراز مراميها ومقاصدها، وقد كان للإمام الرضا عليه السلام الدور الوضاء المشرق في الكشف عن كل ما يتعلق بالنبوة وخاصة في عصمتهم وتنزيههم من كل شيء لا يليق بقداستهم فهم المصطفون من لدن الله تعالى وقبل أن نقف على تلك الروايات فلقد أثار عن الإمام الرضا عليه السلام رواية في بيان أوجه الفرق بين النبي والرسول وحالات التلقي النبوي، ولقد جاء ذكر النبي والرسول في القرآن الكريم جمعاً ومفصلاً لذلك اختلف العلماء في بيان الفرق بين النبي والرسول على قولين:

١. لا يوجد فرق بين النبي والرسول، فالنبي رسول والرسول نبي، وهذا رأي المعتزلة^(١٧) ومن أدلتهم على ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم ٥٤) وجه الدلالة، إنَّ معنى الرسول والنبي واحد لا فرق بينهما^(١٨).

(ب) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (الحج ٥٢) إذ إنَّ اللفظتين -الرسول والنبي- متفتقتان في الفائدة وإنَّ أول الأنبياء آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله، وإنَّ الله خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وآله مرةً بالنبي وبالرسول مرةً أخرى^(١٩).

٢. هناك فرق بين النبي والرسول، فالرسول هو المبعوث الى أمة والنبي هو المحدث الذي لا يبعث الى أمة، قال قطرب*^(٢٠): والنبي من أوحى إليه بملك أو أهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصادقة فالرسول أفضل بالوحي الذي فوق وحي النبوة لأن الرسول أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله وهذا الرأي منسوب الى الأشاعرة والإمامية^(٢١)، مستدلين على ذلك بأدلة منها:

أ) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (الحج/ ٥٢)، وجه الدلالة أن الآية دلت على ثبوت التغاير بين الرسول والنبى، وهو عطف عام على خاص ويقضى المغاير. قال الكلبي** والفراء: كل رسول نبي من غير عكس^(٢٢). وقال السيد الطباطبائي: والرسول يكون نبياً إشارة إلى إمكان اجتماع الوصفين^(٢٣).

وعليه فالعلاقة القائمة بين النبي والرسول هي العموم والخصوص المطلق الذي يعني الاجتماع في الأخص الذي هو ما زاد قيماً وهو هنا (الرسول) الانفراد في الأعم وهو ما زاد فرداً وهو هنا النبي فيقال: كل رسول نبي وليس كل نبي رسول^(٢٤). وقد روى الكليني والصفار بسند عن زرارة بن اعين* قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم ٥٤) قلت: ما الرسول وما النبي؟ قال عليه السلام: النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول يعاين الملك ويكلمه، قلت: فالإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يعاين، ثم قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (الحج ٥٢)^(٢٥).

ب) إن أنبياء الله كانوا حفظةً لشرائع الإسلام وخلفاءه في المقام^(٢٦)، كذلك إن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات^(٢٧)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (مريم ٥١)، وفي ذلك دلالة على الفرق بينهما^(٢٨).

ولنرى ما هو رأي الإمام الرضا عليه السلام في الفرق بينهم؟ حيث يرى الإمام عليه السلام إن هناك فرقاً بينهم فقد روى الكليني والصفار، بإسنادهما عن الحسن بن العباس بن المعروف** قال جعلت فداك: أخبرني ما الفرق بين النبي والرسول والامام؟ قال فكتب الفرق بين الرسول والنبي والامام هو: «إن الرسول هو الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما نبيء في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام والنبي سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع الكلام، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص»^(٢٩).

وترى بوضوح أن الإمام عليه السلام قد فرق بينهم بفرق جوهرية وهو أن الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي خاصة في تبليغ الرسالة ويشترك مع النبي في الصفات الأخرى كالرؤية والسمع وغيرها من الصفات، أما النبي فلا ينزل عليه الوحي، كذلك نستنتج من هذه الرواية أن الإمام عليه السلام قد أوضح درجات الوحي الإلهي الثلاث، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (الشورى ٥١) وهي:

١. الوحي بواسطة الملك: يقول استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير: الطريقة الطبيعية يرسل الله ملكاً يبلغ النبي ﷺ وهو من أرقى درجات التبليغ وهي أرقى درجات الوحي التي حدثت مع نبي محمد ﷺ بواسطة الروح الأمين^(٣٠)، وهو المعنى الأول الذي أكدته الإمام عليه السلام، إن الرسول هو الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء ١٩٣-١٩٤).

٢. الرؤيا الصادقة: وهو المعنى الثاني الذي أشار إليه الإمام عليه السلام ودل عليه القرآن المجيد قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات ١٠٢-١٠٥) فدللت الآيات على أن رؤيا إبراهيم أمرٌ ووحى إلهي يستلزم العمل، بدليل تعقيب الله تعالى في خطاب إبراهيم بتصديق الرؤيا وجزاء المحسنين^(٣١). وقد اشترك نبينا محمد ﷺ في هذا الوحي وأشار القرآن الحكيم الى ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح ٢٧) وهو بمثابة الوعد الحق وقد تكون الرؤيا في جزء من هذا الملحظ تمهيداً للوحي المباشر، وقد يعبر عنها بالصادقة الصالحة، كما حصل هذا المعنى بالنسبة لرسول الله ﷺ أول بدء الوحي، كما في رواية السيدة عائشة: «أول ما

بدئ به رسول من الوحي الرؤيا الصادقة (الصالحة) في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٣٢) .

٣. الوحي المباشر: وهي حالة إلقاء الكلمة الإلهية إلى رسول بلا واسطة ملك لكن من وراء حجاب دون معاينة أو رؤية لامتناع ذلك عقلاً وشرعاً^(٣٣) ، كما خاطب الله نبيه محمد ﷺ في معرجه إلى السماوات العلى، وكما خاطب نبيه موسى ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه ١١-١٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء ١٦٤).

إن هذه العلوم والحكم التي وردت عن الإمام ﷺ وهذه البلاغة البليغة قد جعلت من الامام مرجعاً في جميع العلوم الاسلامية ومصدراً للتشريع وقدوةً صالحة لكل مذاهب المسلمين ولقد استعان بنور علمه وسمو حكمته كل عالم وأديب واحتج بقوله وبلاغته كل كاتب ومؤلف، وكما اختار الله رسلاً وانبياء ليلغوا رسالاته لتكوين المجتمع الأمثل على الأرض فقد اختار جماعةً للدفاع عن هذه الرسالات والشرائع المقدسة وعن أشخاصها وهم بلا شك أهل بيت النبوة ذرية بعضها من بعض في سلسلة تستمر أجيالاً جيلاً بعد جيل وكان الإمام الرضا ﷺ أحد تلك الجماعة التي حرصت كل الحرص للدفاع عن المقدسات الإلهية حتى هرع إليه من كل صوب النصارى واليهود والملحدون والمشككون فضلاً عن المسلمين، لذلك كان الإمام الرضا ﷺ حجة الله على خلقه يدفع بالشبهات التي تثار في عصره ولاسيما الشبهات التي توهم أن الأنبياء ﷺ غير معصومين ويتمسكون بدعواهم هذه بظواهر بعض الآيات القرآنية وإتهم بشرٌ مثلنا يخطئون ويصيبون^(٣٤) .

عصمة الانبياء

إنَّ من المسائل التي وقع الحوار والجدل فيها هي عصمة الانبياء والملاحظ أنَّ جميع الفرق الاسلامية قالت في العصمة لكنها اختلفت في مصاديقها، فالأشاعرة ذهبوا إلى عصمة الانبياء من كل الذنوب بعد النبوة ما عدا السهو والخطأ واجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة^(٣٥) ، والحشوية جوزوا الإقدام على الكبائر بعد الوحي^(٣٦) ، أما المعتزلة فقد ذكر القاضي عبد الجبار أنَّه لا يجوز على الانبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها خلافا لما يقوله اهل الحشوا لأنَّ المعتزلة جوزوا الصغائر على الأنبياء^(٣٧) ، قال الإمام أبو حنيفة: «إنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح»^(٣٨) جمهور السنة على العموم أوجبوا العصمة.

وبقي رأي الامامية فقد ذكر علماءهم جميعاً: أنَّه يجب أن يكون النبي معصوماً من الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها على طريق العمد والنسيان وعلى كل حال^(٣٩) ، بل يجب أن يكون منزهاً عما ينافي المروة كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام^(٤٠) .

عبر استقراء الروايات التفسيرية الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام لوحظ أنَّ جميعها تهدف إلى إثبات عصمة الانبياء، بل جميع ما يتعلق بالأنبياء عليهم السلام وسنذكر عددا من الروايات نبداً بآدم ونختم بنبينا محمد صلى الله عليه وآله تبركاً، وسيتجلى بوضوح دور أهل بيت الرحمة في الدفاع عن أمناء الله وسفرائه وهي:

أولاً: قال تعالى ﴿وَعَصَّ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه/ ١٢١)

روى الصدوق بإسناده عن أبي الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات فلم يقيم أحد إلا وألزمه حجته كأنه ألقم حجراً فقام إليه علي

بن محمد الجهم* فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال عليه السلام: نعم، قال: فما تعمل في قول الله تعالى ﴿وَعَصَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ فقال عليه السلام: ويك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك فإن الله عز وجل قد قال:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران/ ٧) وأما قوله عز وجل في آدم ﴿وَعَصَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فإنَّ الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في النة لا في الأرض وعصمته يجب أن يكون في الأرض ل يتم مقادير أمر الله فلما هبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عُصم بقوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٣٣)^(٤١).

ويبدو من الرواية الشريفة أن الإمام عليه السلام يريد أن يقول: إنَّ علم التأويل علم قد اختص به الباري عز وجل الراسخين في العلم وهم أهل البيت عليهم السلام كما هو المروي عنهم فلا يحق لأي كان التلاعب بآيات الكتاب العزيز وفي هذا صيانة للكتاب ولعقائد المسلمين من أعدائهم، وهذا هو الأمر الأول، والأمر الثاني: أنَّ التكليف الشرعي يكون في الأرض لا في الجنة الخالية من التكليف كما هو معروف لدى المسلمين جميعهم، فإذا ما بعث بأمر إلهي وجبت عصمته من كل أمر لا يليق بالنبوة وصاحبها .

وفي خبر آخر روى الصدوق والطبرسي بإسنادهما عن علي بن محمد بن الجهم أنَّ المأمون سأل الإمام الرضا عليه السلام فقال له: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه ١٢١) فأجابه الامام عليه السلام بأسلوب آخر فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لآدم ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ النَّعْمَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (البقرة ٣٥) وأشار لهما الى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ٣٥) ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها وقد امثلا وأطاعا ولم يقربا من تلك الشجرة وإنما أكلا

من غيرها بعد أن وسوس لها ابليس وموّه عليها وطلب منها أن يأكلا من غيرها مما كان من جنسها وحلف لهما... ولم يكونا قبل ذلك يعرفان من يلف بالله كذبا، وكان ذلك من آدم قبل النبوة... فلما اجتباه الله وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال تعالى: ﴿وَعَصَّ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوِيثُمْ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه ١٢١-١٢٢) ^(٤٢).

قال الطبرسي: لعل الرضا عليه السلام أراد ترك المندوب وارتكاب المكروه من الفعل لاقتضاء أدله العقول والأثر المنقول ^(٤٣). والمعروف عند الامامية أن الأمر بعدم الاقتراب من الشجرة والأكل منها إنما كان أمراً إرشادياً لا أمراً مولوياً ومخالفة آدم كانت من ترك الأولى ^(٤٤). وإن النهي الوارد في الآية دون نهي الحظر والتحريم لأن الحرام لا يكون إلا قبيحاً والأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح، لا كبيرها ولا صغيرها ^(٤٥)، وهم أطفاف للعباد فلا يقع منهم ما يقدح في عصمتهم وينفر عنهم القلوب لا ظاهراً ولا باطناً ^(٤٦).

والأنبياء معصومون من المعصية والمخالفة في أمر يرجع الى الدين الذي يوحى إليهم من جهة تلقيه فلا يخطئون ومن جهة حفظة لا ينسون - خلافاً للجبائي الذي قال لا تقع معاصي الأنبياء إلا سهواً ^(٤٧) - ولا يحرفون من جهة القائه الى الناس وتبليغه لهم قولاً فلا يقولون إلا الحق الذي أوحى إليهم وإن الأنبياء على عصمتهم يجوز لهم ترك الأولى ومنه أكل آدم من الشجرة ^(٤٨)، فالعصيان هنا ليس العصيان الحقيقي بل هو ترك الأولى فخر راحته في الجنة ونعيمها ونزل إلى الأرض وأتعاها، قال السيد الطباطبائي رحمته الله: «إن آدم كان مخلوقاً ليحیی في الارض ويموت فيها ويبعث فيها وإنما أسكنها الله تعالى الجنة للاختبار» ^(٤٩).

قال السيد المرتضى: «إما وصف تارك الندب بأنه عاص توسع وتجاوز في المجاز والمجاز لا يقاس عليه ولا يعدى به عن موضوعه» ^(٥٠). وقد فسر بعض المفسرين:

«عصى بأكل الشجرة، وغوى أنه ضلَّ عن مطلوبه وخاب من حيث طلب الخلد بأكل الشجرة وفسد

عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا»^(٥١) ، وقال الشاطبي: «آدم لم يعصم من الهمة والتدبير فلحقه ما لحقه»^(٥٢) .

قال السبتي: «إنَّ آدم لم يكن عندما أكل من الشجرة نبياً والعصمة لا تشترط إلا بعد ثبوت النبوة له ومنهم من أجمع على ذلك ومنهم من اكتفى بظاهر قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه ١٢٢) وهذا عطف بـ (ثم) التي تعطى المهلة ثم ذكر الإجتباء والهداية والإجتباء هنا النبوة بدليل قوله تعالى عندما عدد الأنبياء ومناقبهم: ﴿وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ (مريم ٥٨) يعني من النبيين أجمعهم، قال في حق يونس بعد قصة الحوت: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ (القلم ٥٠) وهذا وجه من الوجوه يثبت أكله من الشجرة قبل ثبوت نبوته^(٥٣) وإلى ذلك ذهب الآلوسي وأضاف أنه سهو^(٥٤) .

في حين تشدد النسفي والزنجشري في تفسيرهما للآية اذ وصفوا فعله بالغي والغي خلاف الرشد والعدول عن قوله (وزلَّ آدم) مزجرة بليغة وموعظة للمتكلفين^(٥٥) .

وقد نحا الرازي في تفسير الآية منحى اخر، فيذهب الى أنه ظاهر القرآن وان دل على ان ادم عصي وغوى لكن ليس لاحد ان يقول ان ادم كان عاصيا وغاويا لأمر:

١. قال العتبي: «يقال لرجل قطع ثوبا وخاطه قد قطعه وخاطه ولا يقال خاط ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفًا به ومعلوم أنَّ هذه الزلَّة لم تصدر عن آدم إلا مرة واحدة» .

٢. إنَّ هذه الواقعة وقعت قبل النبوة.

٣. إنَّ قولنا عاص وغاويهم كونه عاصيا في أكثر الأشياء وغاويا عن معرفة الله تعالى ولم ترد هاتان اللفظتان في القرآن مطلقتين بل مقرونتين بالقصة التي عصي فيها فكأنَّه قال عصي في كيت وكيت وذلك لا يوهم التوهم بالباطل.

٤. إنَّه يجوز من الله ما لا يجوز من غيره كما يجوز للسيد في عبيده وولده عند معصيته من

اطلاق القول ما لا يجوز لغير السيد في عبده وولده^(٥٦) .

وزاد الشيخ مغنيه معنى آخر وهو: أن آدم عليه السلام حين كان في الجنة كان في الدار الآخرة وهذه الدار لا تبليغ فيها ولا تكليف كي تحتاج إلى أنبياء ونبوة آدم في الدنيا لا في الجنة، وإن الأكل من الشجرة لم يترتب عليه ظلم أي انسان سوى الأكل^(٥٧) .

ونحا السيد السبزواري (قدس) في تفسير الشجرة منحى آخر حيث قال: «إنها كانت مثلاً لحقيقة الدنيا فإنها تظهر لأنبياء الله تعالى وأوليائه بأشكال مختلفة كما ظهرت لنبينا عليه السلام في صورة امرأة في ليلة المعراج فلذلك كان نهيه هنا إلى عدم وقوعه في متاعب الدنيا ومشاقها»^(٥٨) .

وروى الطوسي رحمته الله بإسناده عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: احتج آدم

وموسى، فقال موسى عليه السلام لآدم عليه السلام أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أفتلومني على امر قدرة الله علي قبل ان يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى^(٥٩) .

ويتضح من استقراء آراء العلماء والمفسرين في تفسير هذه الآية أنهم لم يخرجوا عن تفسير الإمام الرضا، فقد فسرها بعضهم بأنها النبوة كما في الرواية الأولى وفسرها بعضهم الآخر بأنها من باب المجاز وأن نهيه كان إرشادياً لا مولوياً وهذا ما تفسره الرواية الثانية .

ثانياً: قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود / ٤٦)

روى العياشي والصدوق بسند عن الحسن بن علي الوشاء* قال: سمعت الرضا يقول: قال ابو عبدالله: إن الله قال لنوح: إنه ليس من أهلك، لأنه كان مخالفاً له، وجعل من اتبعه من أهله، قال: سألتني كيف يقرؤون هذه الآية في نوح، قلت: يقرأها الناس على وجهين: إنه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، وإنه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فقال كذبوا هو ابنه، ولكن الله نفاه عنه حين خالفة في دينه^(٦٠) .

الإمام في هذه الرواية الشريفة يقرر أمرين:

الأمر الأول: تصحيح قراءة الآية القرآنية، ذكر السيوطي روايات كثيرة واختلاف القراء فقال قرأ أهل الكوفة (عمل، بكسر الميم وفتح اللام)، و (غير) بنصب الراء على الفعل، ومعناه: إنَّه عمل الشرك والكفر وقرأ الباقون (عمل) بفتح الميم وضم اللام وتنوين (غير) بالرفع ومعناه إنَّ سؤالك إيائي أن أنجيه عمل غير صالح والقراءة الاولى عن الكسائي ويعقوب وسهل والمعنى عمل عملاً غير صالح^(٦١) أي عمل الشرك والكفر وهذا هو رأي الامام الرضا عليه السلام^(٦٢) .

الأمر الثاني: إنَّ نفي الباري عزوجل لابن نوح ليس نفياً للنسب بل نفياً لدينه المخالف لدين أبيه، يقول الفيض الكاشاني: «انه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم لأنه ليس على دينك»، وروى عن الامام الرضا عليه السلام في حق ابن نوح: لقد كان ابنه ولكن لما عص الله عزوجل نفاه عن أبيه كذا من كان منا لم يطع الله فليس منا أهل البيت^(٦٣) . وروى العياشي عن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام: إنَّه ابن امرأته^(٦٤) .

ورأي مجاهد والحسن إنَّه ولدٌ خبث من غيره ولم يعلم بذلك نوح وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، أي من ولدك، وهذا القول باطل قطعاً، لان في ذلك طعناً على نبي وإضافة الى ما لا يليق به^(٦٥) ، وقد روي عن ابن عباس: «مازنت امرأة نبي قط وكانت الخيانة من امرأة نوح إنَّها كانت تنسبه الى الجنون والخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على أضيافة»^(٦٦) .

وقيل لسعيد بن جبير: قال نوح إنَّ ابني من أهلي أكان ابن نوح؟ فسبح طويلاً، وقال: لا إله إلا الله يحدث الله محمد صلى الله عليه وآله إنَّه ابنه وتقول ليس ابنه ، كان ابنه ولكنه كان مخالفاً في النية والعمل والدين، فمن ثم قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قال السيوطي قال الشعبي: وهذا القول اولى بالصواب وأليق بظاهر الكتاب^(٦٧) .

وقد ذكر السيد المرتضى ثلاثة وجوه في تفسير الآية:

الوجه الأول: إن نفيه لأن يكون ليس من أهله لم يتناول فيه نفي النسب وإنما نفي أن يكون من أهله اللذين وعد الله بنجاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْنَا احْلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ (هود ٤٠) فاستثنى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق ويدل على صحة هذا التأويل قول نوح عليه السلام: إن ابني من أهلي وإنه وعدك الحق، وهذا الوجه يطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روي هذا التأويل بعينه عن ابن عباس والى ذلك ذهب الطوسي والشيباني والزمخشري والشوكاني وابي السعود وأحد آراء فخر الدين الرازي والطبرسي والمروي عن الضحاك وعكرمة والجبائي ^(٦٨).

الوجه الثاني: وهو قول مجاهد والحسن وهذا الذي ذكرناه سابقاً وهو مرفوض من جميع المفسرين .

الوجه الثالث: إن المراد في ذلك أي أنه ليس على دينك وإلى هذا الوجه ذهب كل من السبتي والماتريدي والالوسي وأحد آراء فخر الدين الرازي والطبرسي حيث ذكر إن القولان متقاربان ^(٦٩).

وقد فسّر السيد الطباطبائي الآية الكريمة: إن نوحاً عليه السلام رسولٌ وأحد أنبياء أولي العزم عالماً لله عارفاً بمقام ربه بصيراً بموقف نفسه في العبودية وإنه كان يرى ابنه ظاهراً من المؤمنين ولو لم يكن كذلك لما دعاه الى ركوب السفينة فهو عليه السلام الداعي على الكافرين السائل هلاكهم بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ (نوح ٢٦) ^(٧٠).

والمراد بكونه ليس من أهله الذين وعده الله بنجاتهم لان المراد بالأهل في قوله:

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ (هود ٤٠)، الأهل الصالحون وهو ليس بصالح وإن كان ابنه ومن أهله بمعنى الاختصاص، وقيل أيضاً إن المراد: إنه ليس على دينك وأثر عن أهل البيت عليهم السلام ^(٧١).

والظاهر إن مدار الأهلية بين العلماء هو القرابة الدينية لا قرابة النسب فالإسلام أبعد الجاهلين والمشركين من قربي النسب برسول الله ﷺ كما هو معروف من طردهم وإذلالهم صريحاً في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسدأ) فأخرج القريب وأبعده ولعنه، فيما قرَّب البعيد في صريح قول رسول ﷺ: سلمان* منا أهل البيت^(٧٢) وفيه قول أبي فراس الحمداني:

ل ان ت مودة س ل مان ل ه نسبا ولم يكن بين نوح وابنه رحم^(٧٣)

لذلك كانت الجواب يهزأ، كما إنَّه يكشف عن حقيقة كبيرة إنَّ الرباط الديني أسمى من رباط النسب والقرابة فهو فرد غير لائق حيث لا أثر لرباط القرابة بعد أن قطع رباط الدين^(٧٤) ، فخرج بشقاوته وكفره بالله فأصبح مخلوق غير صالح للاستقامة^(٧٥) .

وقد ملئت كتب الحديث بهذه المعاني من الروايات فعن النبي الأكرم ﷺ: من سمع رجلا ينادي بالمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم^(٧٦) ، وعن الامام الصادق عليه السلام: ليس بول من أكل مال مؤمن حرام^(٧٧) ، حيث إنَّ الأصل في مذهب القادة الربانيين والأساس هو الإيثار بالعقيدة والعمل بمنهجهم والسير على آثارهم والثبات على خطهم في اصعب الاوقات والازمنة. وهذا ما أكده الامام الرضا عليه السلام حين نفى الله تعالى بنوح لأنه لم يسلك على دين الله الذي ارتضاه لأولياته الصالحين.

ثالثاً: قال تعالى ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُبِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنُّ قَلْبِي﴾ (البقرة ٢٦٠)

روى العياشي بإسناده عن علي بن أسباط^(٧٨) * وروى البرقي^(٧٩) بإسناده عن صفوان بن يحيى^(٨٠) * إنَّ أبا الحسن الرضا عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُبِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنُّ قَلْبِي﴾ أكان في قلبه شك؟ قال: لا ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه^(٨١) .

وروى الصدوق والطبرسي بإسنادهما عن علي بن محمد بن الجهم إنَّ المأمون سأل الإمام

الرضا عليه السلام فقال: أخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُبِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَنَّ قَلْبِي﴾ قال الرضا عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَانَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِنِّي مَتَّخِذٌ مِنْ عِبَادِي خَلِيلًا إِنْ سَأَلَنِي إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ أَحْبَبْتَهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ ذَلِكَ اللَّيْلُ فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُبِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَنَّ قَلْبِي﴾ عَلَى اللَّهِ، وَقَالَ ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَهَنَ إِلَيْكَ...﴾ (البقرة: ٢٦٠)، وقلن يانبي الله أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يبي ويميت وهو على كل شئ قدير ^(٨٢).

إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وثاني أولي العزم وخليل الرحمن قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَودِيًّا وَلَا نَصَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: ٦٧).

جاء في علل الشرائع مسنداً عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إِنَّمَا اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ وَلَمْ يَسَالْ أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ ^(٨٣). وإبراهيم عليه السلام تعترف بنبوته الديانات السماوية الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية ويعظمه مشركو العرب لانتسابهم إلى ولده إسماعيل عليه السلام ولأنهم خدمة الكعبة وإبراهيم عليه السلام هو الجد الحادي والثلاثين لنبينا محمد صلى الله عليه وآله ^(٨٤).

عَلَّقَ السَّيِّدُ الطَّبَّاطِبَائِيُّ عَلَى الرَّوَايَةِ الْمَرْوِيَةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَهْمِ: إِنَّ الرَّوَايَةَ لَا تَخْلُو عَنْ دَلَالَةِ مَا عَلَىٰ إِنَّ مَقَامَ الْخَلَّةِ يَسْتَلْزِمُ إِجَابَةَ الدَّعَاءِ وَاللَّفْظُ يَسَاعِدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ الْخَلَّةَ هِيَ الْحَاجَةُ ، وَالْخَلِيلُ إِنَّمَا يُسَمَّى خَلِيلًا لِأَنَّ الصَّدَاقَةَ إِذَا كَمَلْتَ رَفَعَ الصَّدِيقُ حَوَائِجَهُ إِلَى صَدِيقِهِ، وَلَا مَعْنَى لِرَفْعِهَا مَعَ عَدَمِ الْكِفَايَةِ وَالْقَضَاءِ ^(٨٥). ذَكَرَ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَىٰ إِنَّ الْمَفْسَّرِينَ قَالُوا: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام مَرَّ بِحَوْتٍ نَصَفَهُ فِي الْبَرِّ وَنَصَفَهُ فِي الْبَحْرِ وَدَوَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَأْكُلُ مِنْهُ فَاخْطَرَ الشَّيْطَانُ بِبَالِهِ اسْتِبْعَادَ رَجُوعِ ذَلِكَ حَيًّا وَمَوْلَفًا مَعَ تَفْرِقِ أَجْزَائِهِ وَانْقِسَامِ أَعْضَائِهِ فِي بَطُونِ حَيْوَانِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَشَكَ ^(٨٦)، وَقَدْ أُجِيبَ عَلَىٰ ذَلِكَ - آيَةٌ وَرَوَايَةُ الْبَحْثِ - بِأَرْبَعَةِ

وجوه ذكرها المفسرون وهي :

الوجه الأول: إنه ليس في الآية دلالة على شك إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى ، وقد يجوز أن يكون عليه السلام إنما سأل الله تعالى ذلك ليعلمه على وجه يبعد عنه الشبهة ولا يعترض فيه شك وارتياب فطلب أن يريه تعالى مثلاً محسوساً وأحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال^(٨٧) ، وللنبي أن يسأل ربه تخفيف محنته وتسهيل تكليفه ، والذي يؤيد ذلك جواب إبراهيم عليه السلام (ليطمئن) فيبين إنه عارف مصدق^(٨٨) ، لكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل ليحصل على مذاق هذه الملابس فيستروح بها ويتنفس في جوها ويعيش معها وهي أمر آخر غير الإيمان الذي ليس بعده إيمان^(٨٩) ، والألف في (أولم تؤمن) ألف إيجاب قال الشاعر :

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وعبر الطوسي والطبرسي بأن هذه الوجه أقوى الوجوه^(٩٠) ، وإلى ذلك كل من الزمخشري والبيضاوي والسبتي والبيضاوي وسيد قطب وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع ومجاهد وكما حكاه الطبري وغيره^(٩١) .

الوجه الثاني: بأن الله اتخذ خليلاً وإنه يجب دعوته ويحيى الموتى بدعائه فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد أجاب دعوته واتخذ خليلاً وذلك أيضاً للاستدلال كما قال السيد المرتضى رحمته الله ، وهذا ماروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي حكاه الطبرسي وهو رأي الما تريدي الذي قال في تفسيرها: أعلم أنك قد استجبت لي فيها دعوتك وأعطيتني الذي سألتك، أي الخلة، وذكر ذلك الفيض الكاشاني في الأصفى في أثر عن أهل البيت عليهم السلام وروى عن الرضا عليه السلام^(٩٢) .

الوجه الثالث: إن سبب السؤال منازع نمرود إياه في الإحياء إذ قال أنا أحي وأميت وأطلق محبوساً وقتل إنساناً، فقال إبراهيم: ليس هذا بإحياء، وقال: يارب أرني كيف

تحى الموتى ليعلم نمرود ذلك وروى إن نمرود توّعه بالقتل إن لم يحيى الله الميت بحيث يشاهد، فلذلك قال ليطمئن قلبي، أي بأن لا يقتلني الجبار، عن محمد بن اسحاق بن يسار: قال السيد المرتضى هذا الوجه إن جاز صلح في تأويل الآية وحكا هذا الرأي الطوسي^(٩٣).

الوجه الرابع: إننا سأل إحياء الموتى ليزول شكهم في ذلك وشبهتهم ويجرى مجرى سؤال موسى ﷺ الرؤية عليه تعالى^(٩٤).

قال الطباطبائي: إن السؤال للحصول على الأسباب الأصلية ليحصل العلم بالحقيقة، وقد روي عن الصادق ﷺ إنه قال: وهذه آية متشابهة، ومعناها: إنه سأل عن الكيفية والكيفية من فعل الله عز وجل متى لم يعلمها العالم لم يلحقه عيب ولا عرض في توحيدته نقص، وإن إبراهيم ﷺ إنما كان يسأل حق اليقين^(٩٥).

وللسيد السبزواري نفس الرأي حيث يقول: هو سؤال استعطاف وفيه لطف وعناية ومثله بين الخليلين كثير لا يفهمه إلا من كان من أهله و (أرني) الوصول إلى حق اليقين بعد طي مراحل أصل العلم وعلم اليقين، كذلك إن المشاهدة والعيان يؤثران في استقرار النفس ورسوخ العلم في القلب ويزداد بها اليقين^(٩٦).

بقي هناك أمرٌ لقائل يقول على الوجه الأول: إن علياً ﷺ قال: لو كشف ل الغطاء ما ازددت يقينا، وإبراهيم ﷺ رسولا من أولي العزم، فلماذا يسأل الله تعالى؟ وقد أجاب على ذلك محمد بن أبي بكر الرازي قال: إن علياً ﷺ أراد بذلك قوة يقينه قبل العيان، حتى كان الزيادة الحاصلة بالعيان يسيره لا يعتد بها^(٩٧).

من خلال تتبع آراء المفسرين والعلماء نرى إنها لم تخرج عن تفسير الإمام الرضا عليه السلام وإجاباته حيث إنه عليه السلام في الرواية الأولى طلب الزيادة في العلم وهذا ما حكاه بعض المفسرين كما مرّ، وفي الرواية الثانية طلب الخلة فتطلب معرفه ذلك عن طريق الاستدلال والمعينة وهذا ما ذكره القسم الآخر من المفسرين وهذا من الترقّي في الإجابة ولا تضاد في الروايتين. وبذلك تثبت عصمة إبراهيم عليه السلام من كل ما يليق به وقد اصطفاه الله تعالى من بين عباده ليكون رسولاً ونبياً وإماماً وحجّة على خلقه.

رابعاً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ لَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يُدِينِ رَبِّي لأُكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ٧٦-٧٨).

روى الصدوق والطبرسي بإسنادها عن علي بن محمد بن الجهم: قال وسأل المأمون أبا الحسن الرضا عليه السلام فاخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فقال الرضا عليه السلام: إن إبراهيم وقع إلى ثلاثة أصناف صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب^(٩٨) الذي أخفي فيه عليه السلام فرأى الزهرة، قال عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار والاستخبار، عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب عليه السلام ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ لأن الأفول من صفات المحدث، لامن صفات القدم عليه السلام ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يُدِينِ رَبِّي لأُكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار والاستخبار عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يُدِينِ رَبِّي لأُكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ يقول: ﴿قَالَ لئن لم يُدِينِ رَبِّي لأُكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ لما رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار، لاعلياً لإخبار والإقرار عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ قال للأصناف الثلاثة

من عبدة الزهرة والقمر والشمس ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام ٧٨-٧٩) وإنما أراد ابراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم إنَّ العبادة لا تقبل ما كان لصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تقبل العبادة لخالق السموات والأرض، وكان ما أحتج به قومه مما ألهمه الله تعالى وأتاه كما قال الله عز وجل:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (الأنعام ٨٣) ^(٩٩).

تلخيص وظائف الانبياء عليه السلام في ثلاثة أمور هي

١. الدعوة الى الايمان بالله وعبادته كما قال تعالى: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء ٢٥)

٢. الايمان باليوم الآخر وما يتعلق به، واشير اليه في القران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (المتحنة ٦).

٣. تبيان الشرائع التي فيها صلاح الانسان وسعادته في الدنيا والآخر، واشير إليه بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة/ ١٢٩) ^(١٠٠).

إنَّ ابراهيم عليه السلام كان نبي حجة وهو أول من أصل أصول الدين بالاستدلال على علم التوحيد وبه اقتدى رؤساء المتكلمين في استدلاله بالكواكب الثلاثة التي وردت في الكتاب، فكان قومه حرائين ينظرون في النجوم، ويردون لها القضاء في الأفعال ويعبدون بعضها، فكان هو يقصد الاحتجاج عليهم في حدوثها بتغيرها وتبدل أحوالها فخرج مع أهل الرصد ليلاً لينبهم على حدوثها بتغيرها مع تسليم مذهبهم الفاسد لهم جديلاً وقصده مقابلة الفاسد فإنه من وجوه النظر والأظهر في طريقة التنبيه على الحدوث بالاستدلال بالأكوان ^(١٠١)، ويرشدهم إلى طريق الحق من طريق النظر والاستدلال ^(١٠٢).

أوضح الرازي إن هذه المناظرة إنما جرت لإبراهيم عليه السلام وقت اشتغاله بدعوة القوم إلى التوحيد^(١٠٣) ، وأول العلماء الآية على عدة وجوه أقواها الإستدراج وذلك أبلغ في الحجاج والأطف في المكيدة^(١٠٤) ، قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كم هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك ادعى إلى الحق وأنجى من الشغب ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين من حال الى حال^(١٠٥) ، ليرهم تصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جاء عليه اعراض الحوادث، كما اوضح الطبرسي في تفسيره^(١٠٦) وهناك تأويلاً آخر يخرج مخرج الإنكار والاستهزاء ويكون من ذلك معنى الاستدراج إذ هو الإلزام من حيث لا يشعر به. والى ذلك ذهب السيد المرتضى^(١٠٧) .

قال الفيض الكاشاني: «هذا ربي على سبيل الإنكار والاستخبار ونقل أقوال الإمام الرضا عليه السلام واستدلّاه: إنَّ الانتقال والاحتجاب والاستتار دليل الحدوث والفقر وكل محدث مفتقر الى محدث»^(١٠٨) .

أبان السيد الطباطبائي معنى الآية الكريمة وملخصه: حكى الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ... إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم ٤٣-٤٧) انه كان عليه السلام على علم بحقيقة الامر، وعلى هذا فقوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ جاري مجرى التسليم والمجازاة بعد نفسه كأحدهم ومجاراتهم وتسليم ما سلموه ثم بيان ما يظهر به فساد رأيهم وبطلان قولهم وهذا الطريق من الاحتجاج أجلب لإنصاف الخصم وأمنع لتوازن عصبية وحميته وأصلح لإسعاد الحجة^(١٠٩) .

ومن خلال استقراء آراء المفسرين تبين تفسيره هو المعتمد ورأيه هو السند ولم يذهب إلى هنا أو هناك فكان ولازال تفسير وافي وشافٍ .

خامساً: قال تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص ١٥) . وقال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص ١٦) وقال تعالى: ﴿فَعَلَّهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء ٢٠) .

روى الصدوق والطبرسي بإسنادهم عن علي بن محمد بن الجهم إن المأمون سأل الإمام الرضا عليه السلام قال: فأخبرني عن قول الله ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، قال الرضا عليه السلام: إن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء ﴿وَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَ عَلَى الْعَدُوِّ وَيَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَهَاتِ ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله إياه إنه يعني الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾؟ قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخول هذه المدينة ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أي أسترتني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونني. فقال المأمون: فما معنى قول موسى لفرعون ﴿فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾؟ قال الإمام الرضا عليه السلام: قال موسى: ﴿فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك، وقد قال الله لنبيه ممد عليه السلام ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى 6) يقول: ألم يجدك وحيدا فأوى إليك الناس ﴿وَجَدَكَ ضَالًّا﴾ يعني عند قومك ﴿فَهَدَى﴾ أي هداهم إلى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجابا ^(١١٠).

ذكر أغلب العلماء إن موسى عليه السلام مرَّ برجلين يقتتلان أحدهما يعرفه مؤمنا والآخر كافرا فاستعاثه المؤمن على الكافر فوكز الكافر ليحمي المؤمن فقتل بتلك الوكزة فهات وماجرت العادة بالموت من الوكز، إن مات أحد فنادر والنادر لا يحكم به ^(١١١).

أما قوله تعالى ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ هذا إشارة إلى الشجار والقتال الذي وقع بين القطبي والاسرائيلي لا إلى الوكز أو القتل غير المقصود، والمعنى إن القتال بين الاثنين مصدره وسوسة الشيطان واغراءه بالمعاصي والذنوب ^(١١٢).

وقوله تعالى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ كل تقصير في حق الله تعالى ينسبه الأنبياء والأولياء إلى انفسهم فهو دعاء وخشوع لله سبحانه، ولا دلالة فيه وللتقصير لان العارف بالله حقا يتهم نفسه بالتقصير في طاعة الله وعبادته^(١١٣)، وازضاف السيد الطباطبائي (فاغفرلي) حيث أوردها مورد الخطر والقاهها في التهلكة وآثر عن اهل البيت عليهم السلام وذكر رواية الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون^(١١٤).

ونسب أبو علي الجبائي الى موسى عليه السلام إنه فعل معصية صغيرة ونسب معصيته إلى الشيطان، وقد قال في قوله ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي في هذه الفعل الذي لم تامرني به وندم على ذلك وتاب الى الله منه، وكلام الجبائي وغيره الذين ينسبون فعل المعاصي الى أنبياء الله فيه قبح وجرأة على الله، فالأنبياء عليهم السلام مطهرون من كل القبائح ومنزهون عن كل الرذائل وهم حجج الله على خلقه فكيف يكون الحجة على الخلق عاصيا لله وهذا تناقض عقلي لمن كان له قلب سليم وهو مؤمن بالله جل جلاله، قال السيد المرتضى رحمته الله: وقد يسأل سائل ماهو الفعل؟ إلا مدافعة الظالم ومما نعتة ولاشبهة في إن الله تعالى أمره بدفع الظالم عن المظلوم، وليست تلك بمعصية، وأما قوله: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ ففيه وجهان:

١. إنه يريد أن يقول: إنَّ عمل المقتول من عمل الشيطان مفصحاً بذلك عن خلافة الله تعالى واستحقاقه للقتل.

٢. إنه أراد إنَّ تزيين قتلي له وتركي لما نذبت إليه من تأخيره وتفويتي ما استحققه عليه من الثواب من عمل الشيطان^(١١٥).

وقوله تعالى ﴿فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾. قال السيد الطباطبائي: اني فعلتها حينئذ والحال اني في ضلال من الجهل بجهة المصلحة فيه فاقدت على الدفاع عمن استنصرني ولم اعلم انه يؤدي الى القتل، وان المراد بالضلال الجهل بمعنى الاقدام على الفعل من غير مبالاة بالعواقب كما في قول الشاعر:

ألا لا يجلهن أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(١١٦)

قال بعض مشايخ الصوفية: قيل إِنَّ الضلالة بمعنى المحبة فقوله: ﴿وَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي محباً له ﴿فَهَدَى﴾ فاختصك لنفسه خصوصية الهداية والمحبة يعضد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٨) أي في حب متين ليوسف، وكذلك قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف ٩٥) أي: في حبك القديم له، فالمعنى: فعلتها حينئذ وأنا من المحبين لله لا ألوي عن محبته شيء^(١١٧). وقد نزه الإمام الرضا عليه السلام كليم الله عليه السلام ونسب فعل القبيح إلى الشيطان الذي يوسوس إلى بعض النفوس الضعيفة الغير محصنة عقائدياً أو فكرياً، وسمى عالِقْتال الذي يحدث بين البشر عمل الشيطان وقد يكون الشيطان متلبساً في جسد إنسان.

سادساً: قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْبَلِّ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الاعراف ١٤٣).

روى الصدوق والطبرسي بإسنادهم عن علي بن محمد بن الجهم سأل المأمون الإمام الرضا عليه السلام^(١١٨): يا بن رسول الله! ما معنى قول الله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْبَلِّ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، كيف يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم إن الله تعالى لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟!، فقال الرضا عليه السلام: إن كليم الله موسى بن عمران علم إن الله جلَّ عن أن يرى بالأبصار ولكنه كلمه الله وقربته نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم إن الله عز وجل كلمه وقربته فقالوا لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه فاختر منهم سبعين رجلاً فخرج بهم إلى طور سيناء وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عز وجل عليهم صاعقة فماتوا، فقال موسى: يارب ما أقول لبني اسائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلهم؟! فأحياهم

وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك نظره إليه لأجابه؟ فقال موسى: يا قوم إن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى يارب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحتهم، فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلني ما سألوك، فلن أؤخذك بجهلهم، فقال موسى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ وهو يوي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآيه من آياته ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بانك لا ترى^(١١٩).

وقد روى الفيض هذه الرواية في تفسيره، وقال: تحقيق القول في رؤية الله سبحانه ما أفاده أمير المؤمنين عليه السلام: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار (العيون) ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس موصوف بالآيات معروف بالعلامات^(١٢٠) وقال عليه السلام: ما كنت أعبد ربا لم أره^(١٢١).

وروى العياشي والقمي عن الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ قال: ساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتى الساعة^(١٢٢).

تعتبر مسألة رؤية الله من المسائل الكلامية المهمة التي حظيت بنطاق واسع من البحث والتحقيق والأخذ والرد بين المسلمين منذ الصدر الأول للإسلام وحتى الآن وذلك لما لها من مدخلية كبيرة في أصل قضية التوحيد من جهة وإلحاح العقل في استيضاحها من جهة ثانية، وقد بحثت تلك المسألة -مسألة الرؤية- في مبحث خاص بها، ونذكر القول فيها على سبيل الاختصار نختصرها جميعا في ثلاث اتجاهات هي:

١. اتجاه يقول بالرؤية الحسية في الدنيا والآخرة وهؤلاء هم المجسمة.
٢. اتجاه آخر حاول التوسط فمنع الرؤية في الدنيا وأجازها في الآخرة مع نفي الكيفية،

وهو رأي الجمهور المتمثل بأهل السنة من أتباع المذاهب الأربعة الذين حالوا التخلّص من التجسيم مع الاحتفاظ بالرؤية بهذه الكيفية.

٣. اتجاه ثالث آمن باستحالة الرؤية في الدنيا والآخرة وهو ماعليه المعتزلة والإمامية وآخرون^(١٢٣).

أما ما يتحدث عنه الواهون بحب الله سبحانه وتعالى من الرؤية القلبية الوجدانية فهو غير المقصود، كالأقوال المأثورة السابقة في هذه الآية وكما روي عن سيد الشهداء عليه السلام: متى غبت حتى تتاج الى دليل يدل عليك... عميت عين لا تراك عليها رقيباً...^(١٢٤) وأمثال مما روى عنهم أكثر من أن تحصى وقد استدلل بهذه الآية أهل التنزية إن موسى عليه السلام أراد أن يثبت لقومه استحالة ذلك فخاطب ربه قائلاً: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ فجاء الجواب الرباني يحمل نفيتين:

النفى الأول: قوله تعالى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ والثاني: اندكك الجبل وإنصاف موسى، بالنحو الذي جعل موسى يقرر لأصحابه تنزيه الله عن الرؤية ويكون الجواب أبلغ بقوله: ﴿سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أول المؤمنين بأنك لن ترى^(١٢٥).

بينما يقرر الأشاعرة هذه الآية بنحو وآخر مؤيده وهو: إن طلب موسى رؤية الله سبحانه يدل على إيمانه عليه السلام بأن ذلك ممكن ولو كانت الرؤية ممتنعة ومنفيه لشأن الربوبية لما طلبها موسى عليه السلام وهو نبي من أولي العزم، فالطلب يدل على الإمكان والنفى الورد في الآية إنما بلحاظ الدنيا فيبقى أمر الرؤية في الآخرة ممكناً^(١٢٦).

واحتمل الطوسي احتمالاً آخر حيث بين إنه يحتمل أن يكون سأل العلم الضروري الذي تزول معه الخواطر والشبهات أو إظهار آية من آيات الساعة التي يحصل عندها العلم الذي لا شك فيه^(١٢٧)، وهذا ما أكد السيد الطباطبائي رحمته: ان سؤاله عليه السلام بمعنى العلم الضروري فان الله لما خصه بما حباه من العلم به من جهة النظر في آياته ثم زاد على ذلك ان

اصطفاه برسالاته وبتكليمه وهو العلم بالله من جهة السمع ، رجا ﷺ ان يزيده بالعلم من جهة الرؤية وهو كمال العلم الضروري بالله والله خير مرجو ومأمول^(١٢٨) . وقيل: إِنَّ لِلأَنْبِيَاءِ ﷺ أَنْ يَسْأَلُوا تَخْفِيفَ الْبَلْوَى فِي التَّكْلِيفِ ، كَمَا سَأَلَ اِبْرَاهِيمَ ﷺ^(١٢٩) وَعَلَى العكس من ذلك يرى الفخر الرازي إِنَّ طلب الرؤية فيها وجوها:

١. إِنَّ رؤية الله لا تحصل إلا في الآخرة فكان طلبها في الدنيا مستنكرا.

٢. إِنَّ حكم الله تعالى أن يزيل التكليف عن العبد حال ما يرى الله فكان طلب الرؤية طلباً لإزالة التكليف.

٣. إِنَّه لما تمت الدلائل على صدق المدعي كانت الدلائل الزائدة على ذلك تعنتا والتعنت يستوجب التعنيف.

٤. لا يمتنع أن يعلم الله تعالى ذكره إِنَّ في منع الخلق عن رؤيته في الدنيا مصلحة لهم فلذلك استنكرها^(١٣٠) ، إِنَّ الفخر الرازي يقدم احتمالاته على ظواهر الكتاب والسنة وسائر ألفاظ العرب، وقد استطاع الزمخشري في كشفه أن يدرك الحقيقة من هذا الوجه الذي أشار اليه الإمام الرضا ﷺ وسنذكره باختصار واضح فقال: ما كان طلب الرؤية الا ليبتكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم وليلقمهم الحجر، فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله (لن تراني) ليتيقنوا وينزاح عنهم مادخلهم من الشبهة، فلذلك قال:

(ربي ارني انظر اليك) كذلك ان معنى (لن) هو تأكيد النفي الذي تعطيه (لا) و(لن تراني) تأكيد وبيان، وتفسير اخر ، عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا ، كأنها اراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر اللق الى معرفتك ، كذلك انك لن تتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى البلب ، فاني اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات... الخ^(١٣١) .

وهذا المقدار من البيان كاف في اثبات المطلوب ويغني عن الاستطراد ، كذلك ان الله سبحانه وتعالى نزه كليمه ﷺ في محكم كتابه حيث قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء / ١٥٣). قال تعالى: ﴿وَإِذ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة ٥٥).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتَمَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ (الأعراف ١٥٥) ودلالة الآيات واضحة في نسب الفعل الى قوم موسى ﷺ حتى وصفهم بالسفهاء^(١٣٣).

سابعاً: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الاحقاف ٣٥)

روى الصدوق بإسناده عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: إنما سمي أولوا العزم أول العزم لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع وذلك إن كل نبي كان بعد نوح ﷺ كان على شيعته ومنهاجه وتابعا لكتابه إلى زمان إبراهيم الليل ﷺ وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شيعة إبراهيم ومنهاجه وتابعا لكتابه إلى زمن موسى ﷺ وكل نبي كان في زمن موسى ﷺ وبعده كان على شيعة موسى ومنهاجه وتابعا لكتابه الى ايام عيسى ﷺ وكل نبي كان في زمن عيسى ﷺ وبعده كان على منهاج عيسى وشيعه موسى وتابعا لكتابه إلى زمن نبينا محمد ﷺ فهو لاء المسة هم أولوا العزم وهم أفضل الأنبياء والرسل ﷺ وشيعة محمد ﷺ لا تنسخ إلى يوم القيامة ولانبي بعده إلى يوم القيامة فمن ادعى بعد نبينا أو أتى بعد القرآن بكتاب دمه مباح لكل من سمع ذلك منه^(١٣٣).

دلّ الحديث الشريف على أسماء أصحاب الرسالات ومن ساهم الله تعالى ذكره (أولو العزم) ثم بين الإمام الرضا ﷺ بما لا يقبل الشك إن نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء ورسالته خاتمة الرسالات وإن من ادعى النبوة فدمه مباح ويحل قتله .

روى الفيض الكاشاني قريب منه عن الامام الصادق عليه السلام وأثر عن الرضا عليه السلام وقال: وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على مشاقها ^(١٣٤) .

وأوضح القمي إن أولي العزم هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام ومحمد عليه السلام ومعنى أولي العزم إنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله والإقرار بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى ^(١٣٥) وروى الفيض الكاشاني عن الصادق عليه السلام: سادة النبيين خمسة وهم أولو العزم من الرسل وعليهم دارت الرحا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى محمد صلوات الله عليه وآله وعليهم وعلى جميع الانبياء وقريبا منه عن الباقر عليه السلام ^(١٣٦) . وفسر السيد الطباطبائي تتمة معنى العزم: أما الصبر كما قال بعضهم لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى ٤٣) وأما العزم على الوفاء بالميثاق المأخوذ من الأنبياء كما يلوح إليه قوله: ﴿لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه ١١٥) وأما العزم بمعنى العزيمة وهي الحكم والشريعة، وعلى المعنى الثالث وهو الحق الذي تذكره روايات ائمة اهل البيت عليهم السلام وهم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿شَعَّ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّ بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ (الشورى ١٣) ^(١٣٧) .

وقد اختلف المفسرون في عددهم فقليل هم تسعه ، وعند بعضهم ستة وعن بعضهم أربعة حتى وصلت إلى عشرة أقوال ذكرها جميعا ابن الجوزي والقرطبي دون ان يرجحوا قولاً ^(١٣٨) واختار البيضاوي والزنجشيري قولاً يخالف الآخر، رأيها يخالف ماعليه مذهب آل البيت عليهم السلام كما صرح السيد الطباطبائي سابقاً ^(١٣٩) . وعرض ابن كثير في تفسيره تلك الأقوال واختار ما اختاره أئمة أهل البيت عليهم السلام وما روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وترجيحه استنادا إلى ما جاء به القران الكريم، وبأنهم اصحاب الشرائع السماوية كما قال الإمام الرضا عليه السلام ^(١٤٠) .

ثامنا: قال تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف ٢٤)

روى الصدوق والطبرسي بإسنادهما عن علي بن محمد بن الجهم، إنَّ المأمون سأل الامام الرضا عليه السلام، فقال: فاخبرني عن قوله الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فقال الرضا عليه السلام: لقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها كما همتَّ به، لكنه كان معصوما، والمعصوم لا يم ولا يذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام إنَّه قال: همتَّ بأن تفعل، وهو بأن لا يفعل^(١٤١). وفي رواية أخرى عن أبي الصلت عن الرضا عليه السلام إنَّه قال: إنَّها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها ان اجبرته لعظم ما تداخله، فصف الله عنه قتلها والفاحشة بالمعصية وهو قوله عزوجل ﴿كَذَلِكَ لِنَصِّفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (يوسف ٢٤)^(١٤٢).

وروى العياشي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام إنَّه قال: لما همتَّ به وهمَّ بها قامت الى صنم معها في البيت، فالقت عليه ثوبا فقال لها يوسف: ما صنعت؟ قالت: طرحت عليه ثوبا أستحي أن يرانا، فقال يوسف عليه السلام: فأنت تستحي من صنمك وهو لا يسمع ولا يبص ولا أستحي أنا من ربي؟ وأفلت يوسف منها. وروى العياشي والقمي عن الصادق عليه السلام شبيها لهذا الحديث^(١٤٣). وروى عن علي بن الحسين السجاد عليه السلام إنَّه قال عليه السلام: فقال لها: معاذ الله إنا أهل بيت لا يزنون، فغلقت الابواب عليها وعليه وقالت لا تخف وألقت نفسها عليه فأفلت هاربا إلى الباب ففتحه ولحقتة فجدبت قميصه من خلفه، فأخرجته منه وأفلت يوسف في ثيابه^(١٤٤).

قال الفيض الكاشاني: معناه لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها فحذف جواب لولا لدلالة المذكور سابقاً عليه هذا عند لم يجوز تقديم الجزاء على الشرط ومن جوزه فلا حاجة إلى هذا التقدير، وآثر عن أهل البيت عليهم السلام وذكر رواية الرضا عليه السلام^(١٤٥).

والهم في اللغة ينقسم على وجوه:

١ . العزم على الفعل: قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾
(المائدة ١١) أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومثله قول الخنساء:

وفضل مردا ساء على الناس حلمه وإن كل همه همه فهو فاعله

خطور الشيء بالبال وإن لم يقع العزم عليه: قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا
وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ (آل عمران ١٢٢) وإنما أراد أن الفشل خطر ببالهم.

٢ . المقاربة: يقولون هم بكذا أي كاد ان يفعله، قال ذو الرمة:

أقول لمسعود بجر عار مالك وقد دمعي ان يلج اوائله

هو الدمع لا يجوز عليه العزم وإنما أراد إنه كاد وقرب^(١٤٦).

ذهب أغلب العلماء إلى تنزيه يوسف عليه السلام عن كل همّ مما تجل عنه مقام النبوة باستثناء البعض ومنهم الزمخشري الذي فسر الهم: بأنه جلس منها مجلس المجمع، وفسر البرهان: بأنه سمع صوت إياك وإياها ثلاث مرات ورأى يعقوب عاضاً على أناملته ومثله عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والحسن وغيرهم^(١٤٧).

قال ابن كثير: والذي يجب أن يعتقد إن الله تعالى عصمه وبرّاه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها^(١٤٨)، وإلى ذلك ذهب كل من السبتي والبيضاوي وابن تيمية وبينوا إن العبد إذا همّ بسيئة لم تكتب له وإذا تركها لله كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له سيئة واحدة وإن تركها من يتركها لله لم تكتب له حسنة ولا تكتب له سيئة^(١٤٩).

ويوسف عليه السلام: همّهما تركه لله ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه ولم يصدر منه إلا حسنه يثاب عليها، وأما ما نقل فهو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم^(١٥٠).

وروى السيوطي: انها قامت إلى الصنم فسترته بثوبها - الرواية السابقة - وروى عن

الحسن عليه السلام: فإذا هو بصوره في سقف البيت تقول: يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء فعصمة الله عز وجل ^(١٥١).

كذلك الثعلبي سار على المنهج السابق ورفض كل ما لا يليق بقدسية النبوة وأثر عن أهل البيت عليهم السلام فقال: قال جعفر بن محمد: البرهان: النبوة التي أودع الله صدره هي التي حالت بينه وبين ما يسخط الله، كذلك أثر عن الإمام الرضا عليه السلام وعن الإمام السجاد عليه السلام الروايات السابقة في صدر بحث الآية الكريمة ^(١٥٢).

أما إثبات هَمَّها فهذا مما شهد به الكتاب وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح، قال تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف ٢٣) وقال تعالى حاكيا عنها: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف ٥١) وقال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف ٣٢)، وكل المفسرين والمؤلفين يقولون بانها همت بالمعصية ^(١٥٣).

وذكر كل من السيد المرتضى والماتريدي والرزاوي والألوسي والدمشقي والطباطبائي: إن كل من تعلق بهذه الواقعة فقد شهد براءة يوسف عليه السلام عن المعصية والذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم: يوسف عليه السلام والمرأة وزوجها والنسوة والشهود وإبليس ^(١٥٤).

فأما يوسف: فادعى إن الذنب للمرأة، قال: ﴿هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف ٢٦) وقال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَّيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف ٣٣)، وأما المرأة: فاعترفت بذلك وقالت للنسوة: ﴿لَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف ٣٢) وقالت: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف ٥١). وأما زوج المرأة فقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ (يوسف ٢٨-٢٩). وأما الشهود فقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ

قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبَلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ (يوسف ٢٦-٢٧) . وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله:

﴿ كَذَلِكَ لِنَصِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف ٢٤) فقد شهد الله على طهارته أربع مرات: ﴿ لِنَصِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ ، ﴿ لِنَصِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ ، ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ مع إنَّه تعالى قال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْإِهْلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان ٦٣) . ﴿ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول، وهذا يدل على إنَّ الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وإنَّه منزّه عما عما أضافوه إليه . وأما إقرار إبليس بطهارته فقوله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص ٨٢-٨٣) فهذا اقرار من إبليس بانه ما اغوه وما اضله عن طريق الهدى ، فثبت بهذه الدلائل إنَّ يوسف عليه السلام بريء عما يقوله الاخرون ^(١٥٥) .

ويوسف عليه السلام نبي ذا عصمة إلهية ألحقه الله بأبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وله من المقامات العالية والدرجات الرفيعة ما لا يعلمها الا الله كذلك أحبه كل من رآه أو تعلق به لما أتصف من الأخلاق النبوية الكريمة التي منحها الله سبحانه وتعالى لأبنيائه عليهم السلام وروى العياشي بإسناده عن العباس بن هلال قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: ان يوسف النبي قال له السجنان: اني لاحبك فقال له يوسف: لا تقل هكذا فان عمتي احببتي فسرقتني، وإنَّ أبي احبني فحسدني اخوتي فباعوني، وان امرأة العزيزة أحببتي فحبستني ^(١٥٦) .

ومن خلال العرض المتقدم يلاحظ القارئ الكريم كيف كشف الامام الرضا عليه السلام عن عصمة النبي يوسف عليه السلام وكيف استدل في اثبات عصمته مرة بالقران وأخرى بالأثر المنقول عن آبائه عليهم السلام وهو ما استدل به المفسرين من الفريقين .

ثامنا: قال تعالى ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴾ (التوبة ٤٣)

روى الصدوق والطبرسي بإسنادهما عن علي بن محمد بن الجهم وسال المأمون الامام الرضا عليه السلام فقال: لله درك يا ابا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمَ أَدْنَتْ لَهُمْ﴾، فقال الامام عليه السلام: هذا مما أنزل بإيائك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله بذلك نبيه عليه السلام وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَتَنُؤَسَّكَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْآسِينَ﴾ (الزمر ٦٥)، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٧٤) ^(١٥٧).

وروى القمي عن الباقر عليه السلام: لتعرف أهل الغدر والذين جلسوا بغير عذر ^(١٥٨)، وفسر الفيض الكاشاني الآية: عفا الله عنك لم اذنت لهم في القعود حين استأذنونك واعتلوا بالكاذب وهلا توقفت حتى تبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين، وآثر عن الإمام الرضا عليه السلام ^(١٥٩).

كذلك فسرت الآية بان هذا: من لطيف المعاتبة بدا بالعفو قبل العتاب ويجوز العتاب من الله، وليس كما قال البعض من إنه كناية عن الجناية وحاشا سيد الانبياء، وقد يقال لاحدنا: أرايت رحمك الله وغفر الله لك وهو لا يقصد إلى الإستصفاح له عن عقاب ذنوبه، بل ربما لم يخطر بباله أن له ذنباً، وغاية ما يمكن ان يدعى فيها ان تكون دالة على انه عليه السلام ترك الاولى والأفضل، ونقل ذلك عن قتادة وعمر بن الميمون وهو رأي اغلب مفسري الامامية ^(١٦٠).

ويرى الجبائي: إن فعل النبي عليه السلام من صغائر الذنوب تماشياً مع مذهبه الذي يجوز الصغائر على الأنبياء وأجاب الطوسي على ذلك بان الذي ذكره غير صحيح إنما هي كلمة عتاب له عليه السلام لم فعل ما كان الأولى به أن لا يفعله لأنه وإن كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فإن الأولى أن لا يفعله كما يقول القائل لغيره إذ رآه يعاتب أخاه لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه؟ وان كان له معاتبة وكلامه بما يثقل عليه وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع اخر: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (النور ٦٢) وانما اراد ان كان ينبغي تأكيد الوحي فيه ^(١٦١).

وذكر الطبرسي: إن الذين استأذنوه منافقون منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الأنصار^(١٦٢). أما الزمخشري فكان أشد قساوة على النبي الأكرم فذهب في تفسير الآية: عفا الله عنك، كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت^(١٦٣)!

بهذه الكلمات القاسية والجارحة ليس إلى شخص النبي الأكرم فقط بل إلى عموم المسلمين الذي وصفه الله بالخلق العظيم في محكم كتابه المجيد ويبدو إن المستشرق دوننا لدسن ذهب إلى الفكرة نفسها حيث يقول: إن القرآن نفسه لا يؤيد عصمة الأنبياء ويضرب أمثلة لقصة آدم السابقة وكذلك ما وقع مع موسى وداود، ويبدو إنّه إعتد في تكوين فكرته على ظاهر القرآن^(١٦٤).

لقد ذكر المفسرون، إن من لطف الله لنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتاب، ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم؟ لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام، فمثل هذا الأدب يجب احتذائه في حق سيد البشر^(١٦٥).

بل أن الله سبحانه وتعالى في خطابه لم يخاطبه كما خاطب غيره من الأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ (البقرة ٣٥)، وقال تعالى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ (هود ٤٨) وقال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات ١٠٤-١٠٥) وقال تعالى: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾ (النمل ١٠) وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ﴾ (آل عمران ٥٥) ولم يقع في القرآن خطاب (يا محمد)، بل (يا أيها النبي، يا أيها الرسول،...)، تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عما سواه وتعلية للمؤمنين أن لا ينادونه باسمه ﷺ^(١٦٦). ويرى الرازي إن العصمة المتفق عليها - حسب رأيه - خاصة بتبليغ الوحي كذلك إن العفو لا يدل على الذنب وغايته إن الإذن الذي عاتبه الله عليه هو خلاف الأولى، ثم ذكر بعد كلام طويل، إن ذلك كان اجتهاداً منه ﷺ فيما لا وحي فيه^(١٦٧).

وخلص السيد الطباطبائي إلى إنها دعاء للنبي ﷺ بالعفو نظير الدعاء على الإنسان

بالتقتل في قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عبس ١٧)، وقوله تعالى:

﴿قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدرثر ٢٠) ومعنى عفا الله عنك لم أذنت لهم في التخلف والقعود؟ ولو شئت لم تأذن لهم - وكانوا أحق به - حتى تبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين، مضافا إلى أنه ﷺ كان يعرفهم في لحن القول ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد ٣٠) وكيف يخفي على من سمع من أحدهم يقول: ﴿إِذْذَنْ لَّ وَلَا تَفْتَنِّي﴾ (توبه ٤٩) أو يقول ﴿هُوَ أَذُنُّ﴾ (التوبه ٦١) أو يلزمه في الصدقات إن ذلك من طلائع النفاق ومع ذلك عاتبه الله والعتاب متوجه إلى المؤمنين خاصة من غير أن يختص بالنبي ﷺ وهو نوع من العناية الكلامية تبين به ظهور الأمر ووضوحه فهو من أقسام البيان على طريق: (إياك اعني واسمعي يا جارة) ^(١٦٨)، وهو عين المعنى الذي ذكره الإمام عليه السلام في الرواية في إثباته عصمة الأنبياء عموما ونبينا محمد ﷺ من كل ما لا يليق بشأنهم (صلوات الله عليهم اجمعين).

تاسعا: قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (الاحزاب ٣٧).

روى الصدوق والطبرسي بإسنادهما عن علي بن محمد بن الجهم ان المأمون سال الرضا عليه السلام فاخبرني عن قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ قال الرضا عليه السلام: ان رسول الله ﷺ قصد دار زيد بن حارثة في أمر أراه، فرأى امرأته تغتسل، فقال لها: سبحان الذي خلقك! وإنما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم إن الملائكة بنات الله فقال الله عز وجل: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء ٤٠) فقال النبي: لما رآها تغتسل: سبحان الذي خلقك أن يتخذها له ولداً، يتاج إلى هذا التطهير والاغتسال، فلما عاد زيد إلى منزلة أخبرته بمجيء رسول الله ﷺ وقوله لها: سبحان الذي خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظنَّ

إنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها ، ف جاء إلى النبي ﷺ : وقال له : يارسول الله إن امرأتي في خلقها سوء ، وإني أريد طلاقها ، فقال النبي ﷺ أمسك عليك زوجك واتق الله ، وقد كان الله عزوجل عرفه عدد أزواجه ، وإن تلك المرأة منهن ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبد له لزيد وخشي الناس أن يقولوا : إن ممداً يقول لمولاه : إن امرأتك ستكون ل زوجة يعيبونه بذلك . . فزوجها الله عز وجل من نبيه ممد ﷺ وأنزل بذلك قرآنا^(١٦٩) .

وروى الصدوق رحمته الله بإسناده عن أبي الصلت الهروي إن علي بن محمد بن الجهم سأل الامام الرضا عليه السلام ما تقول في قوله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ، فقال الإمام عليه السلام : إن الله عز وجل عرف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وإنهن أمهات المؤمنين وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش وهي يؤمئذت زيد بن حارثة ، فأخفى أسمها في نفسه ولم يبدو لكيلا يقول أحد المنافقين : إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين وخشي قول المنافقين فقال الله عز وجل : ﴿ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفَاهُ ﴾ (الاحزاب ٣٧) يعني في نفسك وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج آدم من حواء وزينب من رسول الله ﷺ وفاطمة من علي عليه السلام^(١٧٠) .

وروى القمي عن الإمام الصادق عليه السلام بما يقارب هذا المعنى^(١٧١) ، وروى الفيض الكاشاني رواية عن السجاد عليه السلام بما يطابق معنى الرواية الثانية المروية عن أبي الصلت وكذلك روى عن الإمام الرضا عليه السلام^(١٧٢) .

مع إن القرآن الكريم كان غاية في الصراحة في قصة النبي الأكرم من زينب وفي بيان هذه المسألة والهدف من الزواج هو محاربه سنة جاهلية فيما يتعلق بالزواج من مطلقة الابن المدعي إلايتها ظلت مورد جمع من أعداء الإسلام فحاولوا اختلاق قصة غرامية ليشوهوا بها صورة النبي المقدس ، منها ما ذكره المستشرق د. غوستافلوبون ، يقول : « وضعف محمد

الوحيد هو حبه للنساء... ولم يخف محمد ﷺ هذا الحب فقد قال: حب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني الصلاة، وان محمدا ﷺ رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني وهي عاربه فوقع في قلبه منها شيء فسرحتها بعلها ليتزوجها محمد ﷺ فاغتم المسلمون فأوحى إلى محمد بواسطة جبرئيل الذي كان يتصل به يوميا آيات تسوغ ذلك وانقلب الانتقاد إلى سكوت»^(١٧٣).

وهذا ليس بالغريب فان التوراة قد نسبت الفواحش - وحاشاهم - إلى أنبياء الله كما في القصة المزيفة عن داود عليه السلام بما يشبه هذا الاتهام إلى شخص النبي الأكرم ﷺ^(١٧٤)، ولكن الغريب أن يذهب بعض المفسرين إلى الروايات الموضوعية، ومن شخصيات نكرة أساءت إلى الإسلام وهي من صنع اليهود وهم ألد أعداء الإنسانية. ذكر الزمخشري في تفسيره للآية: وذلك إن رسول الله ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه - أي لزيد - فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب، وذكر القصة وأما معنى (واتق الله) أراد: واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيهه لاحتريم لأن الأولى لا يطلق، وقيل أراد: واتق الله فلا تدمها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج والذي أخفى في نفسه: تعلق بها - وحاشا خاتم النبيين ذلك البهتان -، وقيل مودة مفارقة زيد وقيل: علمه بان زيدا سيطلقها وينكحها لان الله اعلمه بذلك^(١٧٥). وعن عائشة: لو كنتم رسول الله ﷺ شيئا مما اوحى إليه لكنتم هذه الآية^(١٧٦) وعلق الزمخشري: والله يريد من الانبياء تساوي الظاهر بالباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبه^(١٧٧).

والزمخشري: ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام وقد أساء إلى النبي الأكرم أربع مرات - على حد معرفتي - بهذا التفسير، الأول قوله «فوقعت في نفسه» والثاني «تعلق بها» والثالث «مودة مفارقه زيد إياها» والرابع «إن الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن» وهذا مما لا يجوز في حق الأنبياء جميعا إذ أن

الأنبياء ظاهرهم وباطنهم واحد ، وكأنه لم يقرأ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٣-٤).

وقد اتفق المفسرون: إنَّ الذي أخفاه في نفسه أن طلقها زيد تزوجها وخشي من إظهار هذا للناس وكان الله تعالى أمره بالزواج منها إذا طلقها زيد فقال الله تعالى: إن تركت إظهار هذا خشية الناس فترك إضماره خشية الله أحق وأولى، وإنَّ العرب كانوا ينزلون الأدعياء منزلة الأبناء في الحكم فأراد الله نسخ ما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم زوجة الدعي والذي يؤيد هذا التأويل: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (الاحزاب ٣٧) ^(١٧٨).

قال السيد الطباطبائي: من ذلك يظهر إنَّ الذي كان النبي يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له إنَّ يتزوجها لا هواها وحبه الشديد لها كما يقول بعض المفسرون والتعبير في ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ دليل على ان هذا الزواج كان زوجاً بأمر الله ^(١٧٩). وذكر ابن الأثير في تأريخه: إنَّ زينب كانت تفتخر بهذا الأمر سائر زوجات النبي ﷺ حيث تقول: زوجكن أهلكن وزوجني الله في السماء ^(١٨٠).

قال الطبرسي فتزوجها رسول الله ﷺ وما أولم -أي قدَّم الطعام- على امرأة من نسائه مثل ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ^(١٨١).

وهناك دلائل واضحة على تنزيه النبي الأكرم ﷺ بغض النظر عن العصمة والنبوة وهي:

١. إنَّ زينب كانت بنت عمه النبي ﷺ وقد تربيا وكبرا معا في محيط عائلي تقريباً والنبي ﷺ هو الذي خطبها بنفسه لزيد وإذا كان لزينب ذلك الجمال فلم يكن جماها خافياً عليه.

٢. إنَّ زيدا عندما كان يراجع النبي ﷺ لطلاق زوجته زينب كان النبي ينصحه مراراً بصرف النظر عن هذا الأمر وهذا بنفسه شاهد آخر على بطلان هذه الإدعاءات.

٣. إن القرآن الكريم أوضح الهدف من الزواج بصراحة لثلا يبقى مجال لأقاويل أخرى.
 ٤. إن هذا الزواج تم تنفيذه كواجب شرعي يجب عنده طرح كل الاعتبارات الشخصية جانباً من أجل الله تعالى ليتحقق هدف مقدس من أهداف الرسالة وإن كان ثمن ذلك جراحات اللسان التي يليقها جماعة المنافقين في اتهاماتهم للنبي ﷺ وكان هذا هو الثمن الباهض الذي دفعه النبي. - وما زال يدفعه الى الآن - في مقابل طاعة أمر الله سبحانه وإلغاء عرف خاطئ وسنة مبتدعة^(١٨٢).

يقول: (وول ديورانت) في موسوعته التاريخية: «كان محمدٌ من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب عاش في دياجير الهمجية، وحرارة الجوع، وجذب الصحراء، وقد نجح في هذا الغرض نجاحاً لا يدانيه أي مصلح آخر في التاريخ كُله، كانت بلاد العرب لما بدا دعوته صحراء جرداء تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها متفرقة كلمتها، وصارت عند وفاته أمة متماسكة، وقد كبح جماع التعصب والخرافات وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلادة القديم ديناً سهلاً واضحاً، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مئة معركة وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطرٍ عظيمٍ في العالم»^(١٨٣).

وهذا القدر من الروايات نكتفي نرجو أن نكون قد وفقنا في ذلك فإن كان هناك خلافاً فلا أحد يدعي الكمال، فالكمال لله وحده، وأن يسجل هذا البحث المتواضع في سجل أعمالنا، وأن يثيب الباحث والقارئ في دفاعهم عن أنبياء الله (صلوات الله عليهم أجمعين)، كذلك إحياء ثراث أهل البيت ﷺ الذي هو واجب أخلاقي بقدر ما هو واجب إنساني وتشريعي وتكويني والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

١ . إن جميع الفرق الاسلامية أقرت عصمة الأنبياء بعد البعثة ولاخلاف فيها وعليه إجماع الفرق الإسلامية إلا ما شذ من أهل الحشو .

٢ . إن الأنبياء منزهون عن الصغائر والكبائر وهو رأي الإمامية والشافعية والحنفية والظاهرية وأغلب الفرق الإسلامية باستثناء المعتزلة الذين جوزوا الصغائر على الأنبياء^(١٨٤) .

٣ . انفراد الإمامية بعصمتهم قبل النبوة وكذلك بعدها من الصغائر والكبائر بل عن كل ما لا يليق بهم كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال^(١٨٥) .

٤ . اختلفوا في مدرك وجوب العصمة فذهب الإمامية والمعتزلة وبعض الأشعرية ومنهم إمام الحرمين الجويني، إن الدليل هو الشرع والعقل، بينما يرى محققي الشافعية والحنفية إن الدليل هو السمع^(١٨٦) .

٥ . كان منهج الإمام الرضا عليه السلام في إثبات ما يرى هو منهج آباءه عليهم السلام مرة تفسير القرآن بالقرآن وهو من أرقى مناهج التفسير وهذا واضح كما في قصة آدم وإبراهيم عليهما السلام ومرة يصحح ماورد من قراءات للآية بل الكلمة من ايه كما في قصة نوح عليه السلام ومرة يرجع في إثبات رأيه إلى أنواع الخطاب في اللغة العربية كما في إثبات عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله (الآية ٤٣ التوبة) يقول عليه السلام: هذا مما نزل بآياك اعني واسمعي يا جارة، ثم يستدل بآيات من القرآن الكريم أيضاً لإثبات ذلك، وهذا ليس بالغريب منهم ورثة القرآن وحملته وفي بيوتهم نزل القرآن، ولن يفترق عنهم فهم أحد الثقلين كما قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إنني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكنم بها فلن تضلوا بعدي^(١٨٧) .

الهوامش

- (١) ظ. أركان الايمان، الشيخ وهبي غاوجي: ١٣٩
 - (٢) ظ. التشيعنشاته، معالم هاشم الموسوي: ١٣٦
 - (٣) عقائد الإمامية، الشيخ المظفر: ٤٨
 - (٤) الصحاح، الجوهري: ١/ ٧٤-٧٥؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي العياض: ١/ ١٥٧؛ شرح الإصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي: ٣٨٣.
 - (٥) لسان العرب، ابن منظور: ١٥/ ٣٠١-٣٠٢؛ الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد، الطوسي: ٢٤٤
 - (٦) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٧١-٧٢؛ أصول الدين، الغزنوي: ١١٩
 - (٧) الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد، الطوسي: ٢٤٤؛ المسلك في أصول الدين، العلامة الحلي: ١٥٣
 - (٨) كشف المراد العلامة الحلي: ٣٧٣؛ شرح الإصول الخمس، عبد الجبار المعتزلي: ٣٨٥
 - (٩) أصول الدين، الغزنوي: ١٢٠؛ كشف المراد، العلامة الحلي: ٣٧٥
 - (١٠) ظ. كشف المراد: ٣٧١؛ عقليات إسلامية، مغنيه: ٢/ ٦٢٢، قال البراهمة بانتفاء البعثة وهي طائفة تنتسب إلى برهم أحد حكماء الهند القدامى ظ دائرة معارف القرآن العشرين: ٢/ ١٦١؛ موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة: ٩٢
 - (١١) الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد، الشيخ الطوسي: ٢٤٨؛ كشف المراد العلامة الحلي: ٣٧٥
 - (١٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ١٠٦
 - (١٣) ظ الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد، الطوسي: ٢٦٠؛ كشف المراد، العلامة الحلي: ٣٧٦
 - (١٤) عقائد الإمامية، الظفر: ٥٢
 - (١٥) عقائد الإمامية، المظفر: ٥١؛ مرآة الرشاد، الشيخ عبد الله الماقاني: ٢٣-٢٤
 - (١٦) اصول العقيدة في التوحيد والعدل. السيد مهدي الصدر: ٢١١
- * الفضل بن شاذن: ترجم له النجاشي قال: كان أبوه من اصحاب يونس روى عن أبي جعفر الثاني وعن الرضا عليه السلام وكان أحد أصحابنا الفقهاء المتكلمين وله جلاله في هذه الطائفة وهو في قدره أشهر من أن نصفه، رجال النجاشي: ٣٠٧

- (١٧) اعلام النبوة. الماوردي/ ٣٤؛ شرح الاصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: ٣٨٣
- (١٨) حاشية المرجاني: ١/ ١٢؛ الامام الباقر وأثره في التفسير. د حكمت عبيد: ٣٠٤
- (١٩) ظ. اعلام النبوة، الماوردي: ٣١؛ الشفاء، القاضي عياض: ١٥٧/ ١؛ شرح الاصول الخمسة: ٣٨٣.
- (٢٠) ظ. اعلام النبوة، الماوردي: ٣٤
- (٢١) ظ. التعريفات الجرجاني: ١١٣- ١١٤؛ إرشاد الأنام في عقائد الإسلام، محمد صالح البغدادي: ١٢٣
- * قطرب: هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب مولى سلم بن زياد وكان حافظا للغة كثير النوادر والغريب عالما ثقة فيا لطبقها لسابعه من سكان البصره وكان معلما لولد أبي دلف العجلي من شيوخه يونس بن حبيب وسيبويه وهو الذي سماه قطرباً حين كان يراه بالسحار جالسا على بابه، فيقول: إنما أنت قطرب ليل والقطرب دويبة تدب في الارض ت/ ٢٠٦هـ/ ظ مراتب: النحويين، ابو الطيب ١٠٩؛ أخبار النحويين بالبصرين السيرافي: ٤٩؛ طبقات النحويين والبلاغيين، الزبيدي ٩٩- ١٠٠؛ البلغة في ائمة اللغة، الفيروز ابادي: ٢٤٧؛ طبقات النحاة واللغويين ابن قاضي شهبة: ٢٥٩
- (٢٢) ظ. التعريفات الجرجاني: ١١٣- ١١٤؛ الشفا في حقوق المصطفى، القاضي عياض: ١٥٨- ١٥٧
- (٢٣) ظ. تفسير البيان: ٢/ ٢١١
- (٢٤) ظ. التعريفات الجرجاني: ١١٤.
- * محمد بن السائب بن بشر الكلبي من قضاة، نسابه راوية عالم بالتفسير وأخبار العرب شهد وقعة دير الجماجم مع ابن الاشعث وصنف في التفسير وهو ضعيف الحديث (ت، ١٤٦هـ) ظ الاعلام، الزركلي ١٢٣/ ٦؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ١٧٩/ ٩، قال يعلى المحاربي: كنت اختلفت اليه فسمعتة يقول مرضت مرضة فنسيت ماكنت احفظ فاتيت آل محمد ﷺ فتفلوا في فيه فحفظت ماكنت نسيت، فتركته. الافصاح عن أحوال الرواة الصحاح، محمد حسن المظفر: ٣/ ٤٣٥.
- (٢٥) ظ. الكافي: ١/ ٩٣ ح ٤٣٧ وح ٤٣٩ فيه تفصيل أكثر؛ بصائر الدرجات: ٢٠٩/ ٢ ح ١٠
- (٢٦) ظ. أوئل المقالات، الشيخ المفيد: ٤٩
- (٢٧) ظ. اعلام النبوة، الماوردي: ٣٩
- (٢٨) ظ. الميزان في تفسير القران، السيد الطباطبائي: ١٤/ ١٠٧
- (٢٩) الكافي: ٩٣ ح ٤٣٨؛ بصائر الدرجات: ٢/ ٢١٠

* زرارة بن اعين: ترجم له اغلب علماء الرجال: قال النجاشي ابو الحسن شيخ اصحابنا في زمانه ومتقدمهم وكان قارئاً فقيها متكلماً اجتمعت فيه خلال الفضل والدين صادقا فيما يرويه ظ رجال النجاشي: ١٧٥؛ رجال الطوسي: ١٣٦

* الحسن بن العباس بن المعروف: ترجم له النجاشي والطوسي قال عنه: قمي ثقة صحيح له كتاب الاداب من رجال الامام الرضا عليه السلام مولى جعفر بن عمران بن عبدالله الاشعري، رجال النجاشي: ٢٨١؛ رجال الطوسي: ٣٦١

(٣٠) تاريخ القران: ٢٦

(٣١) مجمع البيان، الطبرسي: ٨/٥٨٣؛ تاريخ القران، د. محمد حسين الصغير: ٢٧

(٣٢) تاريخ القران د محمد حسين الصغير ٢٧ والرواية: صحيح البخاري ١/٤ باب كيف بدء الوحي ح ٣

(٣٣) م. ن. والصفحة.

(٣٤) الإمام الرضا عليه السلام وقيادة الامة، د. محمد حسين الصغير: ١٣٣

(٣٥) أصول الدين، البغدادي: ١٦٨

(٣٦) م. ن. ص؛ كشف المراد، العلامة الحلي: ٣٧٥

(٣٧) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار: ٥٧٣؛ كشف المراد: ٣٧٦؛ ولزيد من التوسع ظ. تفسير المنار: ٧/٥٠٩

(٣٨) الفقه الأكبر، شرح الملا علي القاري: ٨٨-٨٩.

(٣٩) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ١٥٠؛ الاقتصاد فيما يتعلق الاعتقاد، الطوسي: ٢٦٥؛ كشف

المراد: ٣٧٥-٣٧٩.

(٤٠) عقائد الامامية، الشيخ المظفر: ٥٤

* علي بن محمد بن الجهم: اعلن توبته امام الرضا عليه السلام في ان يقول في أنبياء الله السوء مرة ومرة أخرى نقل كلام المامون بحق الامام الرضا وهو يقول لمحمد بن جعفر الصادق عليه السلام: ان ابن اخيك من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين قال فيهم صلى الله عليه وآله: ألا إن أبرار عترتي وأطياب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلم الناس كباراً، قالاً لصدوق: هذا حديث غريب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع بغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام. عيون أخبار الرضا: ١/١٧٣ و١٧٢ ونقل عن المسعودي: إنه بلغ من نصب علي بن محمد بن الجهم: إنه كان يلعن أباه، فستل عن ذلك، فقال: بتسميتي علياً. ظ. مناقب بن اشوب: ٣/٢١٥؛ معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٢/٣٢٣ و١٣/١٤٢-١٤٣.

- (٤١) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٠ هكذا وردت الرواية ولعل فيها تصحيحاً أو نقصاً من النسخ .
 ظ. الإمام الرضا وقيادة الأمة، د. محمد حسين الصغير: ١٩٠
- (٤٢) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٤-١٧٥؛ الإحتجاج: ٢/ ١٧١
- (٤٣) الإحتجاج: ١٧١/ ٢، وقد ذكر عقيدته الإمامية في النبي والإمام عليهما السلام ظ. الحاشية
- (٤٤) ظ. تفسير البيان، الطباطبائي: ١/ ٣٦؛ الامام الرضا د. الصغير: ١٩٢
- (٤٥) ظ. تفسير التبيان، الطوسي: ١٦/ ٢١٧
- (٤٦) ظ. نهج البيان، الشيباني: ٣/ ٣٤٥؛ كشف المراد، الحلي: ٣٧٥
- (٤٧) ظ. تفسير التبيان، الطوسي: ١٦/ ٢١٧
- (٤٨) ظ. تفسير الميزان، الطباطبائي: ١٤/ ١٨٠
- (٤٩) ظ. تفسير البيان، الطباطبائي: ١/ ١١٢؛ تفسير الميزان: ١/ ١١٠؛ العقائد الإسلامية، د. محمد جواد ملك: ٢٦٤
- (٥٠) تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى: ٣٥؛ مجمع البيان، الطبرسي: ١/ ٢٠٨
- (٥١) أنوار التنزيل، البيضاوي: ٢/ ٦٠؛ معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٦٠؛ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ١/ ٤١١، ١٦٩-١٧١؛ فتح القدير-الشوكاني: ٣/ ٤٨٣؛ روح المعاني، اللوسي: ٦/ ٥٨٣
- (٥٢) الموافقات: ٢/ ٢٩٩
- (٥٣) ظ. تنزيه الانبياء، السبتي الاموي: ٦٠-٦٧؛ تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٨/ ٣٥٤
- (٥٤) ظ. روح المعاني: ٦/ ٥٨٣
- (٥٥) ظ. مدارك التنزيل: ٢/ ٧٦-٧٧؛ الكشف: ٣/ ٩٤؛ محاسن التأويل، القاسمي: ٧/ ١٥٢
- (٥٦) ظ. التفسير الكبير: ٢٢/ ١٢٨؛ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ١١/ ١٦٩-١٧١
- (٥٧) تفسير الكاشف: ١/ ٨٨ و ٥/ ٢٥٠
- (٥٨) مواهب الرحمن: ١/ ٢٠١-٢١٥
- (٥٩) التبيان: ٧/ ٢١٧
- (٦٠) تفسير العياشي: ١٦٠/ ٢؛ علل الشرائع: ١/ ٣٠-٣١، كيف يقرؤن الآية في ابن نوح.

(٦١) الدر المنثور- السيوطي: ٣/ ٣٢٥-٣٢٦؛ إملاء ما من به الرحمن، العكبري: ٢/ ٤٠ جامع القراءات ، د عبد اللطيف الخطيب: ٤/ ٦٧

(٦٢) ظ. حاشيه تفسير العياشي: ٢/ ١٦٠؛ تفسير التبيان، الطوسي: ١٢/ ٤٩٤

(٦٣) تفسير الصافي: ٢/ ٤٥٠؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩/ ٢١٩، ٣

(٦٤) تفسير العياشي: ٢/ ١٥٨

(٦٥) ظ. تفسير التبيان: ٤٩٤/ ١٢؛ الدر المنثور: ٣/ ٣٢٦

(٦٦) تنزيه الأنبياء السيد المرتضى: ٤٤؛ التبيان/ الطوسي: ٤٩٥/ ١٢؛ تفسير الخازن: ٢/ ٤٨٧

(٦٧) الدر المنثور- السيوطي: ٣/ ٣٢٦

* الحسن بن علي الوشاء: ترجم له النجاشي وقال: بجلي الكوفي وهو ابن ثبث الياس من أصحاب الرضا عليه السلام وكان من وجوه هذه الطائفة روى عن جده الياس، قال لما حضرته الوفاة قال: فاشهدوا علي وليست ساعه كذب هذه الساعه سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله لا يموت عبد يرب الله ورسوله ويتولى الاثمة فتمسه النار، الرجال: ٣٩/ ٨٠ وترجم له الطوسي وعده من أصحاب الرضا، رجال الطوسي/ ٣٥٦ .

(٦٨) ظ. تنزيه الأنبياء، المرتضى: ٤٣؛ التبيان: ٥/ ٥٦٦؛ نهج البيان: ٣/ ٨٥؛ تفسير الكشاف: ٢/ ٣٧٧؛ فتح القدير: ٢/ ٦٤٠؛ تفسير ابي السعود: ٣/ ٣١٧؛ التفسير الكبير: ٢/ ١٨؛ مجمع البيان: ٥/ ٢١٤-٢١٥ .

(٦٩) ظ. تنزيه الانبياء، السبتي: ٧٠؛ تاويلات أهل السنة: ٦/ ١٣٦؛ روح المعاني: ٤/ ٢٦٦؛ التفسير الكبير: ٢/ ١٨؛ مجمع البيان: ٥/ ٢١٥

(٧٠) ظ. تفسير الميزان: ١٠/ ١٨٤-١٨٥

(٧١) المصدر نفسه

(٧٢) ظ. تاريخ دمشق، لابن عساكر: ١/ ١٥٠؛ السيره النبويه، لابن هشام: ٣/ ١٩٢، ١٨٤؛ تاريخ يعقوبي: ٢/ ٥١-٥٠؛ امتاع الاسماع، للمقريزي: ٢٣٥

(٧٣) ظ. روح المعاني، الالوسي: ٤/ ٢٦٦؛ والبيت الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني: ٢١٥ رقم البيت: (٣٤)

(٧٤) ظ. تفسير الأمثل، ناصر المكارم الشيرازي: ٦/ ٣٧٧

(٧٥) ظ. القران والعقل، العراقي: ٢/ ٣١٢

(٧٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٤

*سلمان المحمدي: كان من رؤوس الصحابة وأقطابهم علم وتقى وجهادا وكان عند رسول الله ﷺ الخليل الأثير. ظ. الاستيعاب، لابن عبد البر: ٥٦/٢ روى ابو بريده عن ابيه عن النبي ﷺ: أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني إنه يبهم وهم علي وسلمان وابو ذر والمقداد، ظ. سنن الترمذي: ٥/ ٢٩٩؛ مسند احمد بن حنبل: ٥/ ٣٥١؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر: ١/ ٢٨٦، وعن الامام علي ﷺ قال: أنا سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبش وخباب سابق النبط، ظ. أسد الغابة، ابن الاثير: ٣/ ٣١؛ سيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ١/ ٣٤٩؛ المستدرک علی الصحیحین: ٣/ ٢٨٥

(٧٧) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٥٣/٢

(٧٨) تفسير العياشي: ١/ ١٦٣

(٧٩) المحاسن: ٢٤٧

(٨٠) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٦؛ الاحتجاج: ٢/ ١٧٢

*علي بن أسباط: ترجم له النجاشي، قال: كوفي ثقة وكان فصيحا جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في رجوعها فيها الى ابي جعفر الثاني ﷺ فرجع علي بن اسباط عن ذلك القول وتركه ، وقد روى عن الرضا ﷺ من قبل ذلك وكان أوثق الناس وأحدّهم لهجةً، رجال النجاشي، ٢٥٢، ت ٦٣٣؛ رجال الطوسي: ٣٦٠ و ٣٧٦

*صفوان بن يحيى: ترجم له النجاشي: كوفي ثقة، عين، روى أبوه عن أبي عبد الله ﷺ وروى هو عن الرضا ﷺ رجال النجاشي: ١٩٧، ت ٥٢٤، وترجم له الطوسي: قال عنه وكيل الرضا ثقه، وعده من رجال الائمة الثلاث الامام الكاظم الرضا والجواد (سلام الله عليهم أجمعين): رجال الطوسي: ٣٣٨ و ٣٥٩ و ٣٧٦.

(٨١) علل الشرائع: الصدوق: ٣٣/١

(٨٢) البحر المحيط لابي حيان الاندلسي: ٢/ ٢٩٩-٣٠٠

(٨٣) تفسير الميزان: ١/ ٣٥٤

(٨٤) ظ. تنزيه الأنبياء، المرتضى: ٥٦؛ التبيان، الطوسي: ٣/ ٤٦٤؛ مجمع البيان، الطبرسي: ٢/ ١٧٧

(٨٥) تنزيه الأنبياء، السبتي: ٨٨؛ تفسير الكشاف، الزمخشري: ١/ ٣٣٧

(٨٦) تنزيه الأنبياء، المرتضى: ٥٦؛ التبيان: ٣/ ٤٦٤

(٨٧) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/ ٤٥

- (٨٨) تفسير التبيان: ٣/ ٣٢٧؛ مجمع البيان: ٢/ ٤٨٨؛ البيت لجرير ديوانه: ١٠٢، رقم البيت (١٤)
- (٨٩) ظ. أنوار التنزيل: ١/ ١٣٧؛ تفسير الكشاف: ١/ ٣٠٤-٣٠٥؛ في ظلال القرآن: ١/ ٤٥؛ جامع البيان: ٣/ ٣٥
- (٩٠)
- (٩١) تنزيه الانبياء: ٥٧؛ مجمع البيان: ٢/ ١٧٧؛ تاويلات أهل السنة: ٢/ ٢٤٩؛ تفسير الاصفى: ١/ ١٢٤-١٢٥
- (٩٢) خ
- (٩٣) تنزيه الانبياء، المرتضى: ٥٧؛ تفسير التبيان؛ الطوسي: ٣/ ٤٦٥
- (٩٤) تنزيه الانبياء، المرتضى: ٥٧
- (٩٥) تفسير البيان: ٢/ ١٢١؛ تفسير الميزان: ١٢/ ٣١٨ والحديث في معاني الاخبار، الصدوق: ١٢٧، ح ١
- (٩٦) ظ. مواهب الرحمن، السيد السبزواري: ٤/ ٢٨٣-٢٨٤؛ تفسير الصافي: ١/ ٢٥٩ والأحاديث الواردة.
- (٩٧) مسائل الرازي من غرائب آي التنزيل، محمد بن أبي بكر الرازي: ٢٠
- (٩٨) السرب: الحفيرة تحت الارض، حجر الوحش: أي الكهف - المنجد في اللغة، لويس معلوف: ٥٤٦
- (٩٩) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٧٥؛ الاحتجاج: ٢/ ١٧٢
- (١٠٠) آيات العقائد، السيد ابراهيم الحجازي: ١٩٢-٣٩١.
- (١٠١) تنزيه الانبياء. السبتي: ٧٨؛ العقيدة من خلال الفطرة، الشيخ جواد آملی: ١٤٨
- (١٠٢) أنوار التنزيل، البيضاوي: ١/ ٣٠٨؛ تفسير القران العظيم، ابن كثير: ٢/ ١٦٩
- (١٠٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ١٣/ ٥١
- (١٠٤) تأويلات أهل السنة، الماتريدي: ٤/ ١٣٩ عليه السلام؛ تفسير المنار: ٧/ ٥٥٨؛ تفسير الكاشف، مغنيه: ٣/ ٢١٤
- (١٠٥) ظ: تفسير الكشاف، الزمخشري: ٢/ ٣٨؛ في ظلال القران، سيد قطب: ٣/ ٢٨٧-٢٩٣

(١٠٦) مجمع البيان: ٤ / ٤٠٤

(١٠٧) ظ: تنزيه الانبياء: ٤٨ ولمزيد التوسع ظ: تأويلات أهل السنة، الما تريدي: ٤ / ١٣٩؛ روح المعاني: ٣ / ١٨٧-١٩٢

(١٠٨) تفسير الصافي: ٢ / ١٣٣؛ تفسير الاصفى: ١ / ١٢٤-١٢٥

(١٠٩) ظ. الميزان: ٧ / ١٥٣- ١٥٨ تفسير البيان: ٤ / ٥٩، ٨٩

(١١٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ١٧٦-١٧٧؛ الاحتجاج: ٢ / ١٧٣-١٧٤، والرواية طويلة وقد اختصرت.

(١١١) ظ. تنزيه الانبياء - السبتي: ٩٩؛ تفسير القران العظيم. ابن كثير: ٢ / ٢٤٢؛ قصص الانبياء، ابن كثير: ٣٨٢-٤٠٣

(١١٢) ظ. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٤ / ٨٤؛ تفسير الكاشف، مغنيه: ٦ / ٥٥

(١١٣) تنزيه الانبياء المرتضى: ١٠٣-١٠٥؛ تفسير الكاشف، مغنيه: ٦ / ٥٥

(١١٤) تفسير الميزان: ١٦ / ١٥، ولمزيد من التوسع ظ. تفسير الصافي: ٤ / ٨٤ وآثر عن أهل البيت عليهم السلام

(١١٥) تنزيه الانبياء، المرتضى: ١٠٣-١٠٥

(١١٦) ظ تفسير الميزان: ١٥ / ٢٠٩؛ البيت لعمرو بن كلثوم الشاعر التغلبي - ظ المعلقات السبع - الزوزني / ١٧٦، رقم البيت (٥٣)

(١١٧) ظ. تنزيه الأنبياء، السبتي / ١٠٣؛ تفسير الميزان: ١٥ / ٢٠٩ - ٢١٠

(١١٨) عيون أخبار الرضا: ١ / ١٧٨؛ الاحتجاج: ٢ / ١٧٤-١٧٥

(١١٩) الرواية بإختصار والرواية ذكرها الصدوق في التوحيد: ١٢٢ وفي بحار الأنوار؛ المجلسي: ١٣ / ٢١٨

(١٢٠) تفسير الصافي: ٢ / ٢٣٥- ٢٣٦ والحديث في نهج البلاغة: ٢٨٥: الخطبة: ١٧٨

(١٢١) الكافي، الكليني: ١ / ٥١٢ ح ٢٦٢؛ التوحيد، الصدوق: ١٠٩ ح ٦؛ الإختصاص، المفيد: ٢٣٥

(١٢٢) تفسير العياشي: ١ / ٣١؛ تفسير علي بن ابراهيم / ١٨٧

(١٢٣) ظ. مقالات الاسلاميين، الاشعري، ٢١٣-٢١٧؛ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٧٤؛ شرح الاصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي: ٢٢٣؛ كشف المراد، الحلي: ٣٢١

- ١٢٤) ظ. الوافي في شرح الكافي، الفيض الكاشاني: ٩٦/١.
- ١٢٥) تنزيه الانبياء، المرتضى: ١١٣؛ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي: ٧٧
- ١٢٦) ظ. التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٨٩/٣ ولمزيد من التوسع: ظ. موسوعة السيد عبد الحسين: ١٥/٤ - ٣١ مناقشة مسالة الرؤية.
- ١٢٧) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٧٧؛ شرح الأصول الخمسة: ١٥٦؛ رؤية الله بين التنزيه والتشبيه: ٧٢-٧٩
- ١٢٨) ظ. تفسير الميزان: ٤/٢٩٧؛ تفسير البيان: ٤/٢٩٩-٣١٢
- ١٢٩) ظ. تنزيه الأنبياء المرتضى: ٥٧؛ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي: ٧٧
- ١٣٠) التفسير الكبير: ٦٨/٣ - ٧٧
- ١٣١) ظ. الكشاف - الزمخشري: ٢/١٥٣-٨٥٧ ولمزيد من التوسع ظ تفسير الميزان ٨/ ٢١٤-٢١٩؛ موسوعة السيد عبد الحسين الموسوي، ٤/١٥-٣١، ورده على الفخر الرازي.
- ١٣٢) ظ. تنزيه الأنبياء، المرتضى: ١١٧
- ١٣٣) علل الشرائع: ١/١٢٢-١٢٣
- ١٣٤) تفسير الصافي: ٥/١٨-١٩
- ١٣٥) تفسير علي بن ابراهيم: ٥٩٨
- ١٣٦) تفسير الصافي: ٥/٩١.
- ١٣٧) تفسير الميزان: ١٨/١٧٩
- ١٣٨) زاد المسير: ٧/٣٩٢-٣٩٣؛ الجامع الاحكام القران: ١٦/٢٢٠-٢٢١
- ١٣٩) أنوار التنزيل: ٢/١٤٦؛ تفسير الكشاف: ٤/٣١٣؛ تفسير الميزان: ١٨/١٧٩
- ١٤٠) تفسير القران العظيم، ابن كثير: ٦/٣٠٧
- ١٤١) عيون أخبار الرضا: ١/١٧٩؛ الاحتجاج: ٢/١٧٥
- ١٤٢) عيون أخبار الرضا: ١/١٧٥
- ١٤٣) تفسير العياشي: ٢/١٨٤-١٨٥؛ تفسير علي بن ابراهيم: /٢٧٩-٢٨٠

١٤٤ (١٤٤) تفسير العياشي: ٢ / ١٨٣ - ١٨٤

١٤٥ (١٤٥) تفسير الصافي: ٣ / ١٣ - ١٥

١٤٦ (١٤٦) ظ. تنزيه الانبياء، المرتضى: ٧٨

١٤٧ (١٤٧) الكشاف، الزمخشري: ٣ / ٥٩؛ معاني القران، النحاس: ٣ / ٤١٢

١٤٨ (١٤٨) ظ. تفسير القران العظيم، ابن كثير: ٢ / ٤٥٨ - ٤٥٩؛ قصص الانبياء، ابن كثير: ٢٤٥

١٤٩ (١٤٩) تنزيه الانبياء: ٤٤؛ انوار التنزيل: ١ / ٤٨٠؛ التفسير الكبير، لابن تيمية: ٥ / ٧٧ - ٧٨

١٥٠ (١٥٠) ظ. التفاسير السابقة؛ اللباب في علوم الكتاب، الدمشقي: ١١ / ١٤؛ تفسير المراغي:

١٢٨ / ١١؛ متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمداني: ٣٩١ / ٢؛ تفسير القران، ابن عربي: ١ / ٥٩٥

١٥١ (١٥١) الدر المنثور: ٤ / ٢٢ - ٢٤؛ تفسير الصافي: ٣ / ١٣ - ١٤

١٥٢ (١٥٢) الكشف والبيان: ٣ / ٣٥

٢٢٠ (١٥٣) تنزيه الانبياء، المرتضى: ٨١؛ دراسات فنية في القصص القرآني. د. محمود البستاني:

وما بعدها

١٥٤ (١٥٤) تنزيه الانبياء، المرتضى: ٨١؛ تأويلات، هل السنة: ٦ / ٢٢٥ - ٢٢٧؛ التفسير الكبير: ١٨ / ٩٣؛ روح

المعاني: ٤٠٥ - ٤٠٦؛ اللباب في علوم الكتاب: ١١ / ٦٤؛ تفسير البيان: ٦ / ٥٠؛ تفسير الميزان: ١١ / ١١٨ -

١٢٢ واستدلالة بروايات الامام الرضا عليه السلام على تنزيه وتبرئة يوسف عليه السلام

١٥٥ (١٥٥) ظ. التفاسير السابقة

١٥٦ (١٥٦) تفسير العياشي: ٢ / ١٨٦ - ١٨٧

١٥٧ (١٥٧) عيون أخبار الرضا: ١ / ١٧٨؛ الاحتجاج: ٢ / ١٧٦

١٥٨ (١٥٨) تفسير علي بن ابراهيم: ٢٣١ - ٢٣٢

١٥٩ (١٥٩) تفسير الصافي: ٢ / ٣٤٥ - ٣٤٦

١٦٠ (١٦٠) تنزيه الانبياء، المرتضى: ١٥٨؛ التبيان، الطوسي: ١٠ / ٢٢٧؛ مجمع البيان، الطبرسي:

٥ / ٤٥؛ تفسير البيان، السيد الطباطبائي: ٥ / ١٣٨

١٦١ (١٦١) التبيان، الطوسي: ١٠ / ٢٢٨

- (١٦٢) مجمع البيان: ٥/ ٤٦
- (١٦٣) تفسير الكشاف: ٢/ ٢٦١-٢٦٢
- (١٦٤) عقيدة الشيعة، دونا لدسن/ ٣٥، ولمزيد من التوسع ظ. تاريخ الإمامية د. عبد الله فياض: ١٥٦
- (١٦٥) ظ. الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ١٠/ ١٢٩
- (١٦٦) ظ. الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٣/ ٨٢
- (١٦٧) التفسير الكبير: ١٦/ ٨٧٤
- (١٦٨) الميزان: ٩/ ٢٤٠- وقد استدلل بروايات الإمام الرضا عليه السلام وانها تنطبق وتستقيم مع ظاهر الحال مع الانبياء الكرام عليهم السلام.
- (١٦٩) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٨٠؛ الاحتجاج: ٢/ ١٧٥ والرواية طويلة وقد اختصرت. ظ . العلويون أتباع اهل البيت عليهم السلام. محمد البادياني: ٣/ ٣٣١-٣٣٣.
- (١٧٠) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧٢
- (١٧١) تفسير علي بن ابراهيم: ٤٤٧
- (١٧٢) تفسير الصافي: ٢/ ١٩١-١٩٢
- (١٧٣) حضارة العرب د. غوستاف لوبون: ١١٢
- (١٧٤) سفر صموئيل الثاني الاصحاح: ١١/ ١٢ القصة المزيفة التي حكمتها التوراة عن النبي داود ولمزيد من التوسع ظ. عيون اخبار الرضا: ١/ ١٧٢ و ١٧، دفاع الامام الرضا عليه السلام عن الانبياء وعن النبي الله داود عليه السلام
- (١٧٥) تفسير الكشاف: ٣/ ٥٤٩
- (١٧٦) صحيح مسلم: ١/ ١١٠؛ مسند أحمد: ٦/ ١٤٢.
- (١٧٧) تفسير الكشاف: ٣/ ٥٤٩
- (١٧٨) ظ. تفسير التبيان، الطوسي: ٢٠/ ٣٤٤-٣٤٥؛ مجمع البيان، الطبرسي: ٨/ ٤٦٥؛ نهج البيان، الشيباني: ٤/ ٦٢٢.
- (١٧٩) ظ. تفسير الميزان: ١٦/ ٢٦٠-٢٦٤

١٨٠) الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٢ / ١٧٧

١٨١) مجمع البيان: ٨ / ٤٦٨

١٨٢) ظ. الامثل في تفسير القران، ابن مكارم الشيرازي: ١٠ / ٤٥٩؛

١٨٣) قصه الحضارة عصر الايمان، ول ديورانت: ١٣ / ٤٧

١٨٤) ظ. كشف المراد: ٣٧٥؛ الفقه الاكبر، المله علي القاري: ٨٨-٨٩؛ إرشاد الفحول

، الشوكاني: ١ / ١٦٣؛ شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار المعتزلي: ٥٧٣

١٨٥) ظ. على سبيل المثال: عقائد الامامية، الشيخ المظفر: ٥٤

١٨٦) ظ. المصدر السابق على سبيل المثال؛ إرشاد الفحول ، الشوكاني: ١ / ١٦٣

١٨٧) ظ. مصادر الحديث. الأصول العامة للفقه المقارن. محمد تقي الحكيم: ١ / ١٥٨-١٥٩

المصادر والمراجع

٩) أعلام النبوة، الرازي ابو حاتم احمد بن حمدان (ت ٣٢٢هـ) تح: صلاح الصاوي ايران ط ١ ١٣٨١ هـ.

١٠) أعلام الوري، الطبرسي، ابو علي الفضل ابن الحسن تح: مؤسسة اهل البيت عليه السلام مطبعة احياء التراث العربي ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦ م.

١١) الاحتجاج، الطبرسي، ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الفيه، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرساني، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، ط ١١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ م.

١٢) الأحكام السلطانية، الفراء، أبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (ت ٤٥٨٠هـ) ت: محمد حامد الفقهي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان ١٤٢١هـ.

١٣) بن النعمان العكبري، تح: علي اكبر الغفاري، منشورات جماعه المدرسين، قم، ط ٦، ١٤١٨هـ.

١٤) الإرشاد، المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ) تح: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة حسين الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.

١٥) الأصول العامة للفقه المقارن، الحكيم، السيد محمد تقى تت مؤسسة الرسالة الإسلامية بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٣ م.

١٦) الإعلام، الزركلي، خير الدين، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٤ م.

١٧) الإفصاح عن رواه الصحاح، المظفر، الشيخ محمد رضا تت (ت- ١٣٧٥هـ) تح، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١٨) الاقتصاد في الاعتقاد الغزالي ابي حامد (ت- ١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م

القرآن الكريم

١) أخبار النحو بين النحوين البصريين السيرافي ابو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٤هـ) تح: افونس كر نكور المطبعة الكاثوليكية بيروت عام ١٩٣٦ م

٢) ارشاد الانام في عقائد الاسلام البغدادي محمود صالح، دار عباده، دار البرائة - ط ٥، ١١٤٠هـ ١٩٨٥ م.

٣) إرشاد الفحول، الشوكاني، الامام الحافظ محمد بني علي (ت ٥٢١هـ) منشورات محمد علي البيضون بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٤- ١٩٩٩ م.

٤) أركان الايمان، غاوجي الشيخ وهبي سليمان الالباني، مؤسسة الرسالة بيروت ط ٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م.

٥) أسد الغابة، ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ) دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، بلا ت. ط.

٦) أصول الدين، الغزنوي الشيخ جمال الدين احمد بن محمد الحنفي (ت ٥٩٢هـ) تح: د. عمر وفاق الدافوق دار البشائر الاسلامية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

٧) أصول الدين الإسلامي، البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ) ط ١ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١ م.

٨) أعلام الدين في صفات المؤمنين الديلمي الحسن ابن ابي الحسن (من اعلام القرن الثامن الهجري) تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، ط ١ ١٤٠٨ هـ.

- ٥٥٥) تقديم الدكتور علي بو ملحم دار وكتبة الرسول ﷺ بيروت ٢٠٠٢م.
- ١٩) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي، محمد بن الحسن (ت-٤٦٠ هـ) منشورات جمعية النشر، مطبعة الآداب في النجف الاشرف، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- ٢٠) الإمام الباقر وأثره في التفسير، الخفاجي، د حكمت عبيد، مؤسسة البلاغ، دمشق، سوريا، ط ١ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢١) الإمامة والرضا ﷺ وقيادة الأمة وولاية العهد الصغير المتمرس د. محمد حسين علي، في جامعة الكوفة - مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، السنوي المؤسسة العلمية للتجليد، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢٢) املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جمع القران العكبري، أبي البقاء عبد بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، مصوره عن طبعه الباب الحلبي؛ مصر، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م.
- ٢٣) أنوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي الشيخ ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت-٧٩١ هـ) منشورات محمد علي البيضوي - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢٤) اوائل المقالات، المفيد الشيخ أبي عبد الله محمد بن نعمان العكبري (ت - ٤١٢ هـ) التقديم: العلامة الزنجاني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢م.
- ٢٥) آيات العقائد الحجازي، السيد إبراهيم تح: راميل الكلمكاني ط ١ ١٤٢٤ هـ
- ٢٦) البحر المحيط، الاندلسي، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، دار إحياء التراث، بيروت، ابان، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٧) البيان في تفسير القرآن لإمام الخوئي، أبو القاسم الموسوي قدس منشورات دار العلم الإمام الخوئي النجف الاشرف، مطبعة العمال المركزية بغداد ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٨) بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر (ت ١١١ هـ) مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ٢٩) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ﷺ، الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ) تح: السيد محمد حسين المعلم انتشارات المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- ٣٠) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) أبي منصور بن محمد بن محمود (ت-٣٣٣ هـ) تح: د مجدي سلوم، دار الكتب العالمية، مؤسسة محمد علي بيضون، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.
- ٣١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت-١٢٠٥ هـ) منشورات مكتبة الحياه، بيروت.
- ٣٢) تاريخ القرآن، الصغير، أ.المتمرس د.محمد حسين علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
- ٣٣) تأريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب، (ت-٢٩٢ هـ) تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف ط ٤، ١٣١٤ هـ - ١٩٧٤م.

- (٣٤) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ابي جعفر محمد بن الحسن ، تح : احمد حبيب العاملي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- (٣٥) تحف العقول عن آل الرسول ، الخرائي ، ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة من أعلام القرن الرابع الهجري تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم ط ٤ .
- (٣٦) التشيع ، الموسوي هاشم ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، ط ٢ ، ذو القعدة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- (٣٧) التعريفات ، الجرجاني ، السيد شريف ابي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الخنفي (ت-٨١٦ هـ) فهرست : محمد باسل عبود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ .
- (٣٨) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ابو عبد الله شمس الدين (ت-٧٤٨) تصحيح : عبد الرحمن بن يحيى العلمي ، مكتبة الحرام الملكي ، مكة ، ط ١-١٣٧٤ هـ .
- (٣٩) تفسير الاصفى ، الكاشاني الملا الفيض (ت-١٠٩١ هـ) مركز الابحاث والدراسات الإسلامية ، قم ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٧٦ م .
- (٤٠) تفسير الأمثل ، الشيرازي ، الشيخ ناصر مكارم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- (٤١) تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقران ، الطباطبائي ، السيد محمد حسين (قدس) ، تح : ازغر ار ادتي ، المطبعة اسوه ، قم ، ١٤٢٤ هـ .
- (٤٢) تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي (ت-٧٢٥ هـ) ضبط عبد السلام محمد علي شاهين ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- (٤٣) تفسير الصافي ، الكاشاني ، المولى محسن الفيض (ت-١٠٩١ هـ) منشورات مكتبة الصدر طهران ، ط ٣ ، ١٣٧٩ هـ ش .
- (٤٤) تفسير العياشي ، بن نصر محمد بن مسود بن عباس السلمى السمرقندي ، تح : هاشم الرسولي المحلاقي ، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- (٤٥) تفسير القرآن ، بن عربي ، العلامة محيي الدين (ت-٦٣٨ هـ) تح : د-مصطفى غالب ، انتشارات : ناصر خسرو ، طهران ، مطبعة قم .
- (٤٦) تفسير القرآن الحكيم الشهير ب(تفسير المنار) محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، مصر ، ط ٤ ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- (٤٧) تفسير القرآن العظيم ، بن كثير ، الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت-٧٧٤ هـ) ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م دار الخير بيروت .
- (٤٨) تفسير القمي ، علي بن ابراهيم من أعلام القرن الثالث الهجري ، تح : محمد الصالحى الانديمشكى ، الناشر ذوي القربي ، مطبعة ستاره قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٣٨ م .
- (٤٩) تفسير الكاشف ، مغنيه ، الشيخ محمد جواد رضي الله عنه ، دار الكتاب العربي ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- (٥٠) تفسير الكشاف ، الزمخشري ، ابي القاسم جار

- الله محمود بن عمر بن محمد (ت- ٥٣٨هـ) ضبط: محمد عبد السلام شاهين منشورات محمد علي بيضون بيروت، ط ٣ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم (ت- ٣٢٥هـ) تح: محمد كاظم، وزاره الثقافة والإرشاد الإسلامية طهران، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- (٥١) تنزيه الأنبياء، المرتضى، الشريف علم الهدى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ط ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- (٥٢) لتفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط ٢.
- (٥٣) التهذيب، الطوسي، أبي جعفر شيخ الطائفة، (ت - ٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية، النجف، ١٣٧٧هـ.
- (٥٤) التوحيد لابي منصور الماتريدي دار الجامعات المصرية.
- (٥٥) التوحيد للشيخ الصدوق، طبع مكتبة الصدوق، ١٤٨٧هـ ش.
- (٥٦) التوراة الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس بيروت لبنان، بولس باسيم، ٧، ٢، ١٩٨٨.
- (٥٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبي عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت- ٦٧١هـ) تح: سالم مصطفى البدري، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط ٢- ١٤٢٤هـ- ٤٠٠٢.
- (٥٨) جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين، السبزواري، محمد بن محمد من أعلام القرن السابع الهجري تح: علاء آل جعفر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٤هـ.
- (٥٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت- ٣١٠هـ) مصر، ط ٢- ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
- (٦٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت- ١٩١١هـ) بيروت دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- (٦١) السيرة النبوية، بن هشام، ابو محمد عبد الله ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري، (ت - ٢١٨هـ) بيروت، لبنان، دار احياء التراث العربي.
- (٦٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض، القاضي أبو الفضل يعصبي، (ت- ٥٤٤هـ) المكتبة التجارية، مصر.
- (٦٣) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت- ٣٩٣هـ)، تح: احمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤- ١٤٠٧هـ.
- (٦٤) العقائد الإسلامية، د. محمد جواد ملك، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ١- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- (٦٥) العقيدة من خلال الفطرة، أملي، الشيخ جواد، مؤسسة الثقليين، دمشق، سوريا، ط ١.
- (٦٦) العلويون هم اتباع أهل البيت، البادياني، محمد النيسابوري، بيروت، لبنان، الإرشاد، ط ١- ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (٦٧) العين، الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد، تح: د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مطبعة الصدر، مؤسسة دار الهجرة، ايران، ط ٢- ١٤٠٩هـ.
- (٦٨) الفرق بين الفرق البغدادي، ابو منصور عبد القار بن طاهر (ت - ٤٢٩هـ) مطبعة المعارف مصر ١٩٥٤م.

- ٦٩) القاموس المحيط، الفيروز ابادي، القاهرة ١٩٥٢م.
- ٨٠) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية، محمد ثابت المندي واخرون، دار المعرفة، بيروت.
- ٨١) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت.
- ٨٢) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وضبط: علي العسيلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ط١- ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٨٣) رجال، الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت- ٤٦٠هـ) تح: جواد القيومي، الأصفهاني، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.
- ٨٤) رجال الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز، تقديم: السيد احمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء، ط ١.
- ٨٥) رجال النجاشي، ابو العباس بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت- ٤٥٠هـ) مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ٨٦) روح المعاني، الآلوسي، أبي الفضل شهاب الدين، البغدادي (ت- ١٢٧٠هـ) ضبط: علي عبد الباري عطيه، منشورات محمد علي بيضون بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥.
- ٨٧) سيرة اعلام النبلاء، الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت- ٧٤٨هـ) تح: شعيب الأرنؤوط وحسين الاسد، مطبعة ونشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩ - ١٤١٣هـ.
- ٨٨) شرح الأصول الخمسة، المعتزلي، القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني، (ت- ٤١٥) تعليق: الامام احمد بن الحسين بن ابي هاشم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠١م.
- ٦٩) القاموس المحيط، الفيروز ابادي، القاهرة ١٩٥٢م.
- ٧٠) القران والعقل، العراقي، السيد نور الدين الحسيني (ت- ١٣٤١هـ) الناشر لينالد فرهنك إسلامي؛ الحاج محمد حسين كوشنابوره.
- ٧١) الكافي الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب تح: علي اكبر الغفاري، الناشر مؤسسة انصارين للطباعة والنشر قم المطبعة ثامن الائمه، ط١/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ٧٢) الكامل في التاريخ، بن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري.
- ٧٣) الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، أبي اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم (ت- ٤٢٧هـ) تح: السيد الكروي حسن.
- ٧٤) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت- ٧٩٠هـ) شرح الشيخ عبد الله دكران بيروت لبنان ط٧٦، ١٤٧٦هـ.
- ٧٥) المبادئ العامة لتفسير القرآن، الصغير، أ.أ. المتمرس د. محمد حسين علي، مكتب الاعلام الاسلامي، ط٢ ١٣١٣هـ.
- ٧٦) المحاسن، البرقي، أحمد بن أبي عبد الله، طبع: الأستاذ جلال الدين الأرمولي ١٣٧٠هـ.
- ٧٧) المنجد في اللغة، لويس معلوف، ط٢، دار المشرق الكاثوليكية، بيروت.
- ٧٨) الميزان في تفسير القرآن الطبطبائي، السيد محمد حسين: اباد باقر سلمان، بيروت لبنان ١٤٢٧هـ.
- ٧٩) حضارة العرب، لوبون، د. غوستاف، نقله الى العربية: عادل زغير، طبع بدار احياء الكتب العربية،

صادق بحر العلوم ، وضع فهارسه السيد محمد تقي الحكيم ، رقم الايداع في المكتبة الوطنية ، بغداد (١٨٣) لسنة ١٩٨٠ م .

(١٠٠) عيون أخبار الرضا ، الصدوق ، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، (ت - ٣٨١ هـ) تقديم الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات ذوي القربى ، قم ، مطبعة ستاره ، ط ١ - ١٤٢٧ هـ .

(١٠١) فتح القدير ، الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ضبط : احمد عبد السلام ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت . لبنان .

(١٠٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٥ - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

(١٠٣) قرب الاسناد ، الحميري ، ابي العباس عبد الله بن جعفر من اعلام القرن الثالث الهجري ، تح : مؤسسة ال البيت عليه السلام لإحياء التراث ، قم ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

(١٠٤) قصة الحضارة ، ول ديو رانت ، ترجمه محمد بدران ، دار الجيل للطبع والنشر ، بيروت ، ط ١ بالتعاون مع جامعه الدول العربية مركز نشر العلوم تونس .

(١٠٥) كتاب الخصال الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت - ٣٨١ هـ) تصحيح علي اكبر الغفاري مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين قم ، ط ٦ / ١٤٠٢ هـ .

(١٠٦) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، الحلي ، العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت - ٦٢٧ هـ) ، تعليق السيد ابراهيم الموسوي ، قم ، ط ٢ - ١٤١٣ هـ - محرم الحرام .

(٨٩) شرح الفقه الاكبر ، للملا علي القاري ، بيروت ، دار الباز ، ط ١ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(٩٠) شرح المعلمات السبع ، الزوزني ، القاضي ابو عبد الله الحسين ، النجف الاشرف ، طبعه تجاربه .

(٩١) شرح نهج البلاغة ، المعتزلي ، ابن أبي الحديد ، (ت - ٦٥٥ هـ) ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ .

(٩٢) صحيح البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، دار النشر ، بيروت ، ط ٣ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٩٣) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري ، دار النشر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، تح : فؤاد عبد الباقي .

(٩٤) طبقات النحات واللغويين ، ابن قاضي شهبه ، ابو بكر بن احمد ، (ت - ٨٥١ هـ) ، تح : د . محسن غياض ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٤ م .

(٩٥) طبقات النحويين واللغويين ، الزبيدي ، محمد بن الحسن ، (ت - ٣٧٩ هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ - ١٩٨٤ م .

(٩٦) عقائد الامامية ، المظفر ، الشيخ محمد رضا - عميد كلية الفقه سابقا النجف الأشرف - قدم له : د . حامد حنفي داود استاذ الادب العربي ، بكلية اللسن ، القاهرة ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ - ١٣٠٨ هـ .

(٩٧) عقليات إسلامية ، مغنيه ، الشيخ محمد جواد تذت ، تح : الاستاذ سامي الغراوي ، مؤسسة دار الكتب الاسلامي ، قم ، ط ١ - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

(٩٨) عقيدة الشيعة . د . وايتدونالدين ، مؤسسة المفيد ، بيروت ، ط ١ - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

(٩٩) علل الشرائع ، الصدوق ، تقديم : السيد محمد

- (١٠٧) لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) قم ١٤٠٥هـ.
- (١٠٨) مؤطا مالك، مالك بن انس الاصبحي دار النشر، دار احياء التراث العربي، مصر، تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
- (١٠٩) مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- (١١٠) مختار الصحاح، الرازي محمد بن ابي بكر عبد القادر (ت - لا ٦٢٦هـ) دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٨١م.
- (١١١) مرآة العقول المجلسي محمد باقر دار الكتب الإسلامية طهران تح: السيد هاشم الرسول المحلاتي، ١٣٧٩هـ.
- (١١٢) مسائل الرازي من غرائب آي التنزيل، الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت- ٦٦٦هـ) ط ١ ١٣٨١هـ.
- (١١٣) مسند أحمد بن حنبل، ابو عبد الله الشيباني دار النشر مؤسسة قرطبة معد.
- (١١٤) المستدرک على الصحيحين، النيسابوري، الحافظ أبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
- (١١٥) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق تح: علي أكبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- (١١٦) معاني القرآن النحاس، أبي جعفر (ت- ٣٣٨هـ) تح: الشيخ محمد علي الصابوني مركز إحياء التراث الإسلامي ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- (١١٧) معجم رجال الحديث الخوئي السيد ابو القاسم تبت، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (١١٨) مناقب الإمام علي أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تح: لجنة من أساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٦هـ.
- (١١٩) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، الناشر مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ط ١ ١٤٢٦هـ - ١٣٨٤ش - ٢٠٠٥م.
- (١٢٠) منهاج السنة ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت- ٧٢٨هـ) بيروت دار الكتب العلمية.
- (١٢١) مواهب الرحمن السبزواري، السيد عبد الأعلى مؤسسة التاريخ الاعلى بيروت لبنان ١٤٢٤هـ.
- (١٢٢) نهج البيان عن كشف معاني القرآن، الشيباني محمد، بلا.ت.ط.
- (١٢٣) نيل الأوطار، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، الناشر دار الجليل، بيروت، ١٩٩٣م.
- (١٢٤) الوافي في شرح الكافي الفيض الكاشاني (ت- ١٠٩١هـ) تح، ضياء الدين الحسيني مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اصفهان، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- (١٢٥) وسائل الشيعة العاملي، الشيخ محمد بن الحسن بن الحر (ت- ١١٠٤هـ) تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.



الإمام الرضا عليه السلام
في الشعر العربي القديم
(صورة وقضية)

أ.م.د. إيمان عبد دخیل

جامعة بابل

كلية الآداب

قسم اللغة العربية



توطئة

الشعر بوصفه موقفا إنسانيا يستجلي وعي الشاعر اتجاه الحياة والوجود البشري، كان حاضرا في الحياة العربية الثقافية منذ مرحلة مبكرة، ولاسيما انه شعر يحثني بالواقع ويترسم في جلد المستمر معه؛ بناء أنظمتها المثالية، وكان حضور الرجل بوصفه قيمة وشخصية، خلقا وأخلاقا؛ طاغيا في تأثيره وتأثره. احتفل بعض هذا الشعر بشخصية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، راسما له صورة رائعة تمثل الكمال الإنساني الخالص، والخير الذي تطلبت الكتب السماوية في العبد الصالح. وواكب حياته ونفذ إلى الخفايا والبواعث المعقدة للحياة السياسية التي زج فيها الإمام مرغما، وأفضت إلى قتله مسموما.

وهذا البحث محاولة للوقوف عند هذا الشعر الذي سجل بجرأة وشجاعة نادرة، موقفه الصريح من الإمام ومن الأحداث المهمة في حياته ولاسيما علاقته بالمأمون وولاية العهد، وقضية موته الغامضة. وقد استجلى البحث هذه الوقفة عبر ثلاث محطات هي:

١. تجلي صورة البطل / المثال شعريا: وهي محطة تقارب الشعر الذي جسّد صورة الرضا عليه السلام الإنسان والإمام.

٢. تجلي ثنائية الخير/ الشر شعريا: وفيها وقفة عند المقارنة التي عقدها الشعراء بين الرضا عليه السلام والخلفاء العباسيين ولاسيما المأمون.

٣. تجلي صورة الشهادة شعريا: وفي هذه المحطة وقفة عند قضية موت الإمام وما أحاط بها من خفايا وغموض.

المقدمة

يعد الأدب شكلا من أعمق أشكال وعي الإنسان بالحياة وبالمجتمع البشري، القادر على التفاعل معها أخذا وعطاء، ففي الآثار الأدبية يتحول الحلم الإنساني، إلى دافع حركي يجدد الحياة ويضفي عليها سمة التفتح. وهو في جدله المستمر مع الواقع يعيد تشكيل صورة هذا الواقع الضاج بمعانيه المختلفة، محركا في فعله المباشر أو غير المباشر معاني هذه الحياة، ومن هنا سمة خلوده واستمراره فهو جزء فاعل، مؤثر في الحياة ومتأثر بها.

وقد امتاز الشعر العربي بأنه شعر واقعي يحتفي بالواقع، صورة ومعنى، حتى في أبنيته الجمالية ينزع إلى إعادة إحياء الواقع نصيا؛ وعندما يتعالى الشعر نحو عوالم المثل، أو تصيد المعاني الرافلة بصور المبالغة؛ يبقى الواقع مداره الأول ينطلق منه ليعود إليه. فصوره ومعانيه مستمدة من الواقع، سواء في ذلك أكان واقعا صحراويا بقيمه الاجتماعية القبلية البدوية، أم كان واقعا مدنيا بقيمه الاجتماعية الحضرية .

وكان لعالم الرجال مدحا وقدحا رثاء وفخرا، الحضور الأول في هذا الشعر منذ أن بدأ الشاعر الجاهلي يسطر تأملاته، ورؤاه، ومواقفه، ومشاعره في كلمات تقال لتسمع ويحتفي بها احتفاء عظيميا. ولعلنا لا نجد شعرا احتفى بالرجل قيمة وشخصية، خلقا وأخلاقا كما فعل الشعر العربي، فهو واكب الشاعر/ الذات، وواكب الآخر / الموضوع شيخا للقبيلة وسيدا للقوم، ورمزا، وخليفة، وسلطة، وواكب المهجو صورة للمنقصة والانتقام، والانتقاد، وواكب الفارس غازيا ومقاتلا ومجاهدا ومدافعا، وواكب المحب عاشقا، متولها... الخ من الصور الأخرى ممثلا لها وممثلا لأبعادها الواقعية ولتمخيلها المثالي؛ «لأن الموقف الملازم لممارسة اللغة - وهو التبادل والحوار - يضفي على فعل الخطاب وظيفة مزدوجة: تمثيل الواقع وينظم تجربة الحدث، ومن هنا فإن فن الشعر بمفهومه الواسع يصبح فن الخطاب»^(١).

وفي الأدب نجد نزوع الإنسان في بحثه عن صورة البطل، المجسد لقيم الخير والكمال والمثال الأرقى إنسانياً؛ الحلم الذي تبحث عنه اليوتوبيات المختلفة لتحقيقه وجوداً واقعيًا؛ وإذا كان الأئمة من آل البيت عليهم السلام قد جسّدوا في سلوكهم الحيّاتي وشخصياتهم الإنسانيّة، أفضل تجلٍ لهذا الصورة فكان طبيعياً أن يحتفي بهم الشعر العربي. وهكذا واكب الشعر حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فقد رسم له صورة رائعة تمثل الكمال الإنساني الخالص، والخير الذي تطلّبتّه الكتب السماوية في العبد الصالح .

وقد امتلك الشعر العربي قدرة على النفوذ إلى الخفايا والبواطن المعقدة، التي تتحكم بحالات النفس الإنسانية وتقلباتها، وعلى النفاذ إلى خفايا السياسة، والنظريات، والوقائع؛ ف رؤية الشاعر الصافية تتيح له استجلاء البواطن، وكشف الحقائق المستورة؛ فشعر شعراء كبار مثل: أبي فراس الحمداني، ودعبل الخزاعي، وأبي نواس، وإبراهيم الصولي، والصاحب بن عباد، وغيرهم؛ نفذ إلى ما أحاط حياة الأمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من أحداث، وتحولات وضعه فيها الخلفاء العباسيون، فكانت لهم نفعات شعرية واكبت الحدث وسبرته بنفاذ بصيرة كاشفة عن خفاياه بجرأة وشجاعة ونفاذ بصيرة.. وقد استجلى البحث هذه الوقفة عبر ثلاث محطات هي:

١. تجلي صورة البطل / المثال شعرياً: وهي محطة تقارب الشعر الذي جسّد صورة الرضا عليه السلام الإنسان والإمام.

٢. تجلي ثنائية الخير / الشر شعرياً: وفيها وقفة عند المقارنة التي عقدها الشعراء بين الرضا عليه السلام والخلفاء العباسيين ولاسيما المأمون.

٣. تجلي صورة الشهادة شعرياً: وفي هذه المحطة وقفة عند قضية موت الإمام وما أحاط بها من خفايا وغموض.

المحطة الأولى

تجلي صورة البطل / المثال

رسم الشعر صورة بهية لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، حلما، وعلما، وعطاء وهي صورة واقعية، تتأتى واقعتها من أن الشاعر الذي اعتاد أن يشتط بخياله ويتصيد المعاني والصور المبالغ فيها ليرسم للممدوح صورة مثالية شعر في مدحه للإمام الرضا - ولكل أئمة أهل البيت - أنه ليس بحاجة إلى المبالغة أو الكد الخيالي في البحث عن المعاني والفضائل النبيلة لأنه يجدها متجسدة واقعا، وهو لا يفعل أكثر من أن يعيد نسجها في ثوب شعري ملفوظ، فهو يحاول أن يستوعب الواقع ويجسد حقيقة شخصية الإمام / الإنسان التي اكتملت، وتعاضمت؛ فعزّ على موهبة كبيرة مثل موهبة أبي نواس أن تجارها شعريا، ولهذا نجده يعتذر عندما عُتِبَ عن تأخره في مدحه قائلا^(٢):

قيل لي أنت واحد الناس	في كلّ كلام من المقال تبديه
لك في جوهر الكلام بديع	يثمر الدر في يديّ مجتبيه
فعلام تركت مدح ابن موسى	بالخصال التي تجمعت فيه
قلت لا اهتدي لمدح إمام	كان جبريل خادما لأبيه

وعلى الرغم من أن الواقعية قد تؤول إلى المباشرة والتقريرية، وأن الشعر لا يستقيم أثره، وجودة توصيله إلا بجنوح خياله، وبعد معانيه، وعلو صورته الجديدة الصادمة؛ لكن هذا لا يعني أن هذا الشعر لواقعيته كان دون مستوى التجويد أو أنه مفتعل التجربة، وقديما رأى الصولي في معنى أبي نواس الذي تضمنته الأبيات السابقة ولا سيما البيت الأخير، تقدما وعلوا على من رأى أن أفخر بيت هو ما قيل في الأنصار يوم بدر^(٣):

وبئر بدر إذ يرّد وجوههمُ جبريل تحت لوائنا ومحمدُ

فالشعر عندما يتوخى الصدق والبساطة في نقل المعنى، مع سلامة الشعور ودقته، وإصابة المعنى، يصل إلى قلب المتلقي ببسر وسلاسة، وقد يقرب المعنى أكثر موقف المأمون المتعجب من شعر دعبيل الخزاعي في مدحه آل البيت عندما قال عنه:

«قاتله الله ما أغوصه وأطفه وأدهاه»^(٤).

تعالوا معي نستمع للشاعر نفسه الذي اعتذر سابقا عن تأخره في المدح، كيف يبده ويتألق ببساطة وصدق شعورين عندما تسنح له الفرصة فيلتقي بالإمام، ويستأذنه أن يُسمعه شيئا من الشعر الذي قاله فيه وفي آباءه^(٥):

مطهرون نقيات جيوبهم	تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
مطهرون نقيات جيوبهم	فماله في قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقا فأتقنه	صفّاكم واصطفاكم أيها البشر
فانتم الملاء الأعلى وعندكم	علم الكتاب وما جادت به السور

فأبو نواس عندما يحدد لهم هذه السمات لا يتجاوز أو يشتط أو يستعير، فآل البيت هم الملاء الأعلى، وعندهم علم الكتاب ورثوه عن جدتهم رسول الله، والرضا عليه السلام شهد له بـ «العلم والدين والسؤدد»^(٦)، حتى قيل إنه «أفتى وهو شاب في أيام مالك»^(٧)، وعنه يقول الصولي: «ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه وكان جوابه كله وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد»^(٨)، وجاء عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل ممد فاسألوه عن دينكم واحفظوا ما يقول لكم...^(٩) . فقد عاش «بعد أبيه نحو من عشرين عاما ليترك للأجيال من عطائه الفكري في مجالات المعرفة المتنوعة ما يقيها من التعثر في مسيرتها لو قدر لها أن تأخذ بما تركه هو وآبؤه

من تشريع وقيم وآداب ونصائح في مختلف المجالات»^(١٠) ، وقد عرف عنه تضلعه في الفقه والحديث والطب وقد روى عنه العشرات من خيرة علماء المذهب ومن غيره^(١١) .

والعلم منظومة شاملة لن يكتمل إلا بالخلق القويم، والنفس الإنسانية التي تقارب المثال في اكتمالها الواقعي، ومرة أخرى يروي لنا الصولي شيئاً من هذا الخلق المتسامي كما لا يقول: «ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا وشهدت منه ما لم أشاهد من احد وما رأيت جفاً أحداً بكلام قط ولا رأيت قط على أحد كلامه حتى يفرغ منه وما ردّ أحداً عن حاجة قدر عليها ولا مدرجه بين جليس قط ولا اتكئ بين يدي جليس له قط ولا رأيت يشتم أحداً من مواليه ومماليكه ولا رأيت تغل قط ولا رأيت يقهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسم وكان إذا خلا ونصبت الموائد أجلس على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب والسائل وكان قليل النوم بالليل كثير الصوم لا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر... وكان كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر من ذلك منه لا يكون إلا في الليالي المظلمة فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه»^(١٢) ، وقد وردت هذه الرواية في عيون أخبار الرضا ، باختلاف يسير في اللفظ وفي الترتيب^(١٣) ، وأنى ذاك الذي يكون مثله وهذا خلق ملائكي يعجز عنه البشر .

ويرى فيه شاعر آخر اكتمال دور الهداية حيا وميتا، فقبره نور يجلي الظلم كما كان الإمام في حياته، جاء في عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق أنه وجد في كتاب لمحمد بن حبيب الضبي^(١٤) :

قبر سنا أنواره تجلو العمى وبتربه قد تدفع الأسقام
قبر يمثل للعيون محمداً ووصيه والمؤمنون قيام

.....

يا بن النبي وحجة الله التي هي الصلاة وللصيام قيام
انتم ولاة الدين والدنيا ومن لله فيه حرمة وذمام

وهو موقف فيه الكثير من أركان إيمان الشيعي وعقيدته في الالتزام بحجية الأئمة الاثني عشر، وولايتهم، وحرمتهم، وبركتهم في الشفاء. وفي المعنى ذاته نجد الصاحب بن عباد يقول^(١٥):

يا سائرا زائرا إلى طوسٍ مشهد طهر وأرض تقديسٍ
أبلغ سلامي الرضا وخط على أكرام رمس لخير مرموسٍ

.....

يابن النبي الذي به قمع الله ظهور الجابرة الشوسِ
وابن الوصي الذي تقدم في الفضل على البزل القناعيسِ
وحائز الفخر غير متقص ولابس المجد غير تلبيسِ

ولأشجع بن عمرو السلمي أبياتٌ في مدح الرضا يستجلي فيها حقائق عقديّة ترى الإمامة امتدادا طبيعيا لنور النبوة، فهي الجذر الذي تفرعت منه، ومن هنا أحقية التقديس الملازمة للإمامة، يقول^(١٦):

ما زال مقتبسا من نور والده إلى النبي ضياء غير مقبوسِ
في منبت نهضت فيه فروعكم بباسق في بطاح الملك مغروسِ
والفرع لا يرتقي إلا على ثقة من القواعد والدنيا بتأسيسِ

وهكذا فالشعر لا يغفل حق الرضا الإنسان والإمام، فيرسم له صورة ناصعة مشرقة تمثل صورة البطل الإنساني. وهي صورة ليست متكلفة، فإذا كان للمخيلة الشعرية أن تنشط وتتكلف المبالغة أحيانا كثيرة متجافية مع الواقع لترسم صورة للممدوح، فإنها مع أئمة أهل البيت لا تتكلف شططا؛ لأنهم صورة للاكتمال الإنساني.

المحطة الثانية

تجلي ثنائي الخير / الشر

استطاع الشعر الذي جسد مأساة الإمام الرضا عليه السلام في تعامله مع أعدائه أن يضع طرفي النزاع في ثنائية جسدت جدل الخير والشر في تمثيلها لهذين البعدين في الوجود البشري. فالشعراء كانوا يعقدون المقارنة بين البيتين العلوي والعباسي، لإظهار الفارق النوعي بينهما، فدعبل الخزاعي يوازن بينهما ولا سيما الرشيد وابنيه والرضا فيرى الفرق كبيرا، ففي الطرف الأول يقف الرشيد والأمين والمأمون، يمثلون الظلم، والغواية، والمجون، وخيانة الأمانة؛ لهذا هم يناقضون ألقابهم، يقول فيهم^(١٧):

وعاثت بنو العباس في الدين عيثة تحكّم فيهم ظالم وضنينُ
وسمّوا رشيدا ليس فيهم لرشده وها ذاك مأمون وذاك أمينُ
فما قُبلت بالرشد منهم رعايةً ولا لوليّ بالأمانة دينُ
رشيدهم غاؤ وطفلاه بعدهُ لهذا رزايا دون ذاك مجونُ

وفي الجانب الآخر يرى الرضا عليه السلام ذا الفضل والمروة والعلم والحلم، الذي اعترف بفضله حتى المخالف* لا يقارن بهم بل لا يستطيع الشاعر إيفاء حقه يقول^(١٨):

لقد سبقت في هم بفظلك آية لديّ ولكن ما هناك يقينُ

ولعل أوضح تصوير لجدل هذه الثنائية - ثنائية الخير / الشر، أبياته التي يصور فيها اجتماع رمزي هذه الثنائية في مكان واحد^(١٩):

قبران في طوس خير الناس كلهمُ وقبر شرهمُ هذا من العبرِ
ما ينفع الرجس من قبر الزكيّ ولا على الزكيّ بقرب الرجس من ضرر
هيهات كلّ امرئٍ رهنٌ بما كسبتُ له يدها فخذ ما شئتُ أو فذر

يستلهم محمد بن حبيب الضبي معنى دعبل، وصورته الشعرية التي قرنت بين القبرين ودلالة من فيهما، لتظهر التضاد الحاد بين رمزي الخير والشر، ويسترسل في إضافة تنويحات جديدة على هذا المعنى يقول^(٢٠):

قبران في طوس الهدى في واحد	جنوبه فيها يزار إمام
قبران مقترنان هذا ترعة	جنوبه فيها يزار إمام
وكذاك ذلك من جهنم حفرة	فيها يجدد للغوي هيام
قرب الغوي من الزكي مضاعف	لعذابه ولأنفه الإرغام
أن يدن منه فإنه لمباعد	وعليه من خلع العذاب ركام
وكذاك ليس يضرك الرجس الذي	يدنيه منك جنادل ورخام
لا بل يريك عليك أعظم حسرة	إذ أنت تكرم واللعين يسام
سوء العذاب مضاعف تجري	به الساعات والأيام والأعوام

فهو لم يكتف بالإشارة اللماحة كما فعل دعبل بل مال إلى التشويق والاسترسال في بيان هذا المعنى القائم على جمع الضدين في ثنائية تجاورية تكشف عن الاختلاف الكبير بينهما وعن استحالة التقريب بينهما على الرغم من القرب المكاني، وكان هذا التدبير في جمعها مقصود لإظهار النقيض؛ فكلما اقترب الثوب الأسود من الثوب الأبيض بانت نضاعة البياض .

كذلك يعقد أبو فراس الحمداني مقارنة بين البيتين، ويخرج منها بنتيجة تنفي تحقق المقايسة أو حتى اقترابها؛ «لأن الخصومة بين البيتين كانت خصومة مبادئ لا تقف عند حدود الأشخاص، خصومة بين فئتين فئة تمثل الإسلام بكل أبعاده وأهدافه وفئة تمثل العنصرية والاستغلال والنزعة القبلية التي برزت بكل مظاهرها في عهد أسلافهم الأمويين ولم تختلف عما كان يحارب من اجله أبو سفيان وأبو جهل وأميه بن صفوان وغيرهم من

جبابرة قريش وطغاتها الأشداء، ولكن بلون آخر وأسلوب جديد من أساليب ذلك العصر وباسم الإسلام^(٢١)، يقول أبو فراس^(٢٢) :

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم

وحتى يستجلي تمام المقارنة ينطلق من هذه الحقيقة إلى توسيع الدائرة بالموازنة بين البيتين، رموزاً، ومكانة، ومنزلة دينية، وأخلاقية^(٢٣) :

منكم عليّة أم منهم؟ وكان لهم	شيخ المغنين إبراهيم أم لكم
ما في دي اره م للخمر معتصراً	ولا بيوتهم للسوء معتصم
ولا تبيت لهم خُنْثى تنادمهم	ولا يُرى لهم قرد له حشم
الركن والبيت والأستار منزلهم	وزمزم والصفاء والحجر والحرم
صلّى الإله عليهم، أينما ذكروا	لأنهم للورى كهف ومعتصم

المحطة الثالثة

تجلي صورة الشهادة

يسجل الشعر موقفه الصريح من قضية موت الإمام مقتولا بالسم، التي مررتها بعض المصادر وهي تهوم بالحدث بين التصريح والتشكيك أو النفي الصريح، فهذا صاحب شذرات الذهب يتأرجح بين الموت بالحمى والموت بالسم يقول «وكان موته بالحمى وقيل بالسم»^(٢٤)، أما صاحب الأعلام فيكتفي بالإخبار عن موته دون الإشارة إلى الكيفية^(٢٥)، وينقل صاحب سير أعلام النبلاء أنه مات مسموما دون ذكر الكيفية^(٢٦).

أما الشعر العربي القديم فقد وقف عند هذه القضية، وخاض في تفاصيلها، وقال الشعراء آراءهم الصريحة بجرأة نادرة.

في ديوان أبي فراس الحمداني الشاعر الفارس الذي خبر معنى الإقدام والتضحية والتجلد في الملمات، نجد موقفا مشرفا يقف من آل البيت عليهم السلام وقفة اعتراف بأحقيتهم لأنهم الأمثل لهذه المكانة ولعل ميميته*، المشهورة ذات المطلع^(٢٧):

الدينُ محترَّمٌ والحقُّ مهتضمٌ وفيء آل رسول الله مُقتسمٌ

أفضل شاهد على هذا الموقف. في هذه القصيدة تصوير لما آلت إليه حال المسلمين بعد الرسول، يقول^(٢٨):

قام النبي بها يوم الغدير لهم	والله يشهد والأفلاك والأمم
حتى إذا أصبحت في غير صاحبها	باتت تنازعها الذؤبان والرخم
ثم أدعاها بنو العباس إرثهم	وما لهم قدم فيها ولا قدم

يرى الحمداني أن هذا الأمر انتهى بآل الرسول مقتلين مشردين في الآفاق^(٢٩):

كم غدرة لكم في الدين واضحة وكم دم لرسول الله عندكم

وقد مهد الشاعر بهذا الوصف لإعلانه الصريح بقتل الإمام على يد بني العباس^(٣٠) :

باوؤا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا
ياعصبة شقيت من بعد ما سعدت ومعشرا هلكوا من بعد ما سلموا

فهو يتهمهم بالغدر وخيانة العهد الذي قطعوه للرضا بولاية العهد بعد المأمون العباسي، وبالضلالة بعد أن بصرُوا بالرشد، وأعلى درجات الغدر أن يدبروا قتله بعد أن أظهرُوا له ودا، وتقربا، وأمانا .

وقضية موت الإمام مرتبطة ارتباطا مباشرا بقضية ولاية العهد، التي جاءت حدثا غريبا في كل تاريخ علاقة العباسيين بالعلويين وغرابته تنبع من فرادته إذ لم يتكرر بعدها أبدا، فضلا عن أنه لم يحدث قبلها؛ لكن المدقق في هذا الأمر سيجد أن حركة المأمون هذه كانت إلتفافية وذات بعد استراتيجي مهم لتدعيم سيطرته على أطراف الدولة المترامية، التي بدأت فيها الانتفاضات والانقسامات تتهدد هذه السيطرة، فالمعروف أن صراع المأمون مع أخيه الأمين ودخوله في حرب انتهت بمقتل الأخير وتولي الأول الخلافة ولدت تدمرا واسعا في أوساط العباسيين الذين كانوا يناصرون الأمين^(٣١)، ثم أن الدولة كانت تشهد انتفاضات علوية مؤيدة بدعم الشيعة في الكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة، واليمن، وكلها تنكر صنيع العباسيين بالعلويين، والمأمون المعروف بقوة شخصيته العلمية والإدارية أدرك فداحة الأخطار التي تتهدد سلطته، ولهذا عمد إلى مهادنة الرأي العام الشيعي والعلوي بإعلانه التنازل عن الخلافة للإمام علي بن موسى عليه السلام وهو يعلم علم اليقين أنه سيرفضها، فلما رفضها قلده ولاية العهد مكرها^(٣٢)، ولنا أن نتبين هذه الكراهة من موقف الإمام من مهمات وظيفتها إذ اشترط لقبولها أن لا يولي أحدا ولا يعزل أحدا ولا ينقض رسما ولا سنة^(٣٣).

والمأمون بموقفه هذا أوقع بلبلة وتشتتا في صفوف الشيعة بين مصدق ومنكر. وان دل ذلك على شيء فيدل على حنكته السياسية، ودهائه، ومكره؛ لأنه لو كان صادقا في دعواه وأنه أراد لهذا الأمر أن يرجع إلى أصحابه الحقيقيين لما قمع بقوة وحزم كل حركة علوية أو متشعبة لهم في الدولة، حتى وصل عدد ضحايا حركة أبي السرايا الذي خرج بالكوفة داعيا لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام مئات الألوف كما يروي صاحب مقاتل الطالبين^(٣٤). وكان من نتائج هذا التدبير أن هدأت الثورات الشيعية أو العلوية في المدة التي ولي فيها الإمام الولاية^(٣٥).

دعبل الخزاعي هو الآخر يتهم العباسيين بالغدر فهم وان تلقبوا بالرشد والأمانة إلا أنهم لا يؤتمنون^(٣٦) :

فما قبلت بالرشد منهم رعايةً ولا لولي بالأمانة دين
وقد انطلق من هذا الوصف إلى تمرير حقيقة وقوع القتل^(٣٧) :

شككت فما ادري أمسقي شربة فأبكيك؟ أم ريب الردى فيهون

وإن ظهر متشككا فإنه سرعان ما يعلن صراحة عن اعتقاده بغدرهم بالإمام:

أيا عجبا* منهم يسمونك الرضا وتلقاك منهم كلحةً وعضونُ

أتعجبُ للأجلاف أن يتخيفوا معالم دين الله وهو مبين

فالشعر صريح في إعلان ما تخوف من إعلانه غيرهم من المؤرخين، والكتاب، والعلماء الذين تذرعوا بالمرض والريب والموت في إنهاء حياة الإمام. الشعر كان لا يهادن أو يماري في نقل هذه الحقيقة وتسجيلها للتاريخ شهادة لا تجرح.

الهوامش

- ١) أساليب السرد في الرواية العربية، د. صلاح فضل، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط١، ٨٥: ٢٠٠٣.
- ٢) ينظر: ترجمة علي بن موسى الرضا في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي (٥٦٨١هـ) تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار صادر، بيروت، ١٩٨٦: ٣/ ٠٧٢.
- ٣) ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٥٧٤٨هـ)، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ط١، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧: ٨/ ٩٤٢.
- ٤) كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦)، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ٢٠/ ٣٨.
- ٥) ينظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات: ١٧٥/ ٢.
- ٦) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٨٤٢.
- ٧) نفسه.
- ٨) أعيان الشيعة: ٢/ ٦٤٥.
- ٩) سيرة الأئمة الاثني عشر المجلد الثاني، السيد هاشم معروف الحسيني، ط٥، مطبعة شريعت، الناشر انتشارات المكتبة الحيدرية، إيران: ٦٤٣.
- ١٠) م.ن: ١٤.
- ١١) ينظر: عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، ط١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ١/ ٥٤، و١٩٥-١٩٧، وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٤٧، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ٤١٤-٥١٤.
- ١٢) أعيان الشيعة: ٢/ ٥٤٦.
- ١٣) ينظر: عيون أخبار الرضا: ٢/ ٥١٧-٨١٥.
- ١٤) م.ن: ٢/ ٦٠٦.
- ١٥) م.ن: ١/ ٦٣.
- ١٦) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني (٢٨٤-٣٥٦)، شرح وتحقيق السيد أحمد الصقر، ط١، منشورات ذوي القربى، إيران - قم، ٥٢٤١هـ: ٨٥٤.
- ١٧) ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وقدم له وحققه عبد الصاحب عمران الدجيلي، منشورات الشريف الرضي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢: ٩٨٢.
- ١٨) * قال الذهبي: «وقد كان علي الرضا كبير الشأن أهلاً للخلافة» سير أعلام النبلاء: ٨/ ٢٥١.
- ١٩) ديوان دعبل الخزاعي: ٠٩٢.
- ٢٠) م.ن: ٨٩١.
- ٢١) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٨٠٦.

- (٢١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٣٤٣-٤٤٣.
- (٢٢) ديوان أبي فراس الحمداني (٣٢٠هـ-٣٥٧هـ)، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه (٥٠٣هـ-٣٧٠هـ)، تحقيق سامي الدهان وأحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة، سورية - دمشق، ٢٠٠٤: ٢٠٦.
- (٢٣) م.ن: ٧٠٢.
- (٢٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت: ٦/٢.
- (٢٥) ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي: ٨٧١ / ٥.
- (٢٦) ينظر سير أعلام النبلاء: ٨ / ٢٥١. على أن بعض مصادر أهل السنة أعلنت صراحة أنه مات مسموماً ومن هؤلاء ابن ماجه، وأبو الفرج الأصفهاني والحاكم النيسابوري.
- * وينظر أيضاً قصيدته البائية التي يتوسل فيها بآل البيت إلى الله تعالى: الديوان: ١٣٢.
- (٢٧) ديوان أبي فراس الحمداني: ٤٠٢.
- (٢٨) م.ن: ٥٠٢.
- (٢٩) م.ن: ٦٠٢.
- (٣٠) نفسه.
- (٣١) ينظر: تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ٩ / ٨٩، وعيون أخبار الرضا: ٢ / ٤٩٤-٤٩٥، والأعلام: ٨٧١ / ٥.
- (٣٢) ينظر: مقاتل الطالبين: ٤٥٤ - ٤٥٥، وعيون أخبار الرضا: ٢ / ٤٦٦ وما بعدها.
- (٣٣) ينظر: عيون أخبار الرضا: ٢ / ٤٧٨، وسيرة الأئمة الاثني عشر: ٣٨٢-٣٨٣.
- (٣٤) ينظر: مقاتل الطالبين: ٧٤٤.
- (٣٥) ينظر: سيرة الأئمة الاثني عشر: ٤٨٣.
- (٣٦) ديوان بن علي دعبل الخزاعي: ٩٨٢.
- (٣٧) م.ن: ٢٨٩-٠٩٢.
- * إنما يتعجب الشاعر لأن بعض المصادر ترى أنه لقب بالرضا لأن المأمون رضي به كما ورد في مناقب ابن شهر آشوب. ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ٥٤٥، وقيل إن المأمون نفسه أطلق عليه هذا اللقب، ينظر: صورة العهد الذي كتبه المأمون للرضا بولاية العهد وقد أورده صاحب الأعيان كاملاً في الجزء الثاني من كتابه في الصفحة ٦٥٥.

المصادر والمراجع

٨) سيرة الأئمة الاثني عشر المجلد الثاني، السيد هاشم معروف الحسيني، ط ٥، مطبعة شريعت، الناشر انتشارات المكتبة الحيدرية، إيران.

٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ت.

١٠) عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، ط ١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

١١) كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦)، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

١٢) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني (٢٨٤ - ٣٥٦)، شرح وتحقيق السيد أحمد الصقر، ط ١، منشورات ذوي القربى، إيران - قم، ١٤٢٥هـ.

١٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي (٦٨١هـ) تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار صادر، بيروت، ١٩٨٦ م.

١) أساليب السرد في الرواية العربية، د. صلاح فضل، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ط ١، ٣٠٠٢.

٢) الأعلام، خير الدين الزركلي، د. م. د.ت.

٣) أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات.

٤) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

٥) ديوان أبي فراس الحمداني (٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ)، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه (٣٧٠هـ - ٣٠٠هـ)، تحقيق سامي الدهان وأحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة، سورية - دمشق، ٢٠٠٤ م.

٦) ديوان دعبل بت علي الخزاعي، جمعه زقدم له وحققه عبد الصاحب عمران الدجيلي، منشورات الشريف الرضي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢ م.

٧) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨ هـ، تحقيق محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمروي، ط ١، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.



